دراسات عالمية



تكاليف حرب الطائرات من دون طيار ونتائجها

مايكل بويل



مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية

العدد 119

إهـــداء ٢٠١٤

مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجيه

الامارات

تكاليف حرب الطائرات من دون طيار ونتائجها

مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية

أنشئ مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية في أبوظبي بتاريخ 14 آذار/ مارس 1994؛ كمؤسسة بحثية مستقلة تعنى بدراسة القضايا الاستراتيجية السياسية والاقتصادية والاجتماعية والمعلوماتية، التي تهم دولة الإمارات العربية المتحدة ومنطقة الخليج العربي خصوصاً والعالم العربي عموماً، ومتابعة أهم المستجدات الإقليمية والدولية.

وفي إطار التفاعل الثقافي والتعاون العلمي، يصدر المركز سلسلة **دراسات عالمية** التي تعنى بترجمة أهم الدراسات والبحوث التي تنشر في دوريات عالمية مرموقة، وتتصل موضوعاتها باهتمامات المركز العلمية، كما تهتم بنشر البحوث والدراسات بأقلام مشاهير الكتاب ورجال السياسة. ويرحب المركز بتلقي البحوث والدراسات المترجمة، وفق قواعد النشر الخاصة بالسلسلة.

دراســات عـالميــة

تكاليف حرب الطائرات من دون طيار ونتائجها

مايكل بويل

العدد 119

تصدر عن



مركـز الإمـارات للدراسـات والبحـوث الاستراتيجيـة

محتوى الدراسة لا يعبر بالضرورة عن وجهة نظر المركز

This is an authorized translation of "The costs and consequences of drone warfare," by Michael J. Boyle, and published in *International Affairs* 89: 1 (2013): 1–29, by the Royal Institute of International and Affairs Blackwell Publishing. The ECSSR is indebted to the author and original publisher for permitting the translation, publication and distribution of the above title under its name.

الطبعة الأولى 2014

ISSN 1682-1211

النسخـة العاديـة ISBN 978-9948-14-790-9

النسخة الإلكترونية ISBN 978-9948-14-791-6

توجه المراسلات باسم رئيس تحرير سلسلة **دراسات عالمية**

على العنوان الآتي:

مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية

ص ب: 4567

أبوظبي، دولة الإمارات العربية المتحدة

هاتف: 4044541-9712+

فاكس: 4044542-9712+

E-mail: pubdis@ecssr.ae

Website: http://www.ecssr.ae

المحتويـات

مقدمة

في الحادي والعشرين من يونيو 2010، قال الباكستاني الأمريكي، فيصل شاهزاد، في محكمة فدرالية بمنهاتن إنه وضع قنبلة عند تقاطع مزدحم في ساحة تايمز سكوير انتقاماً من الاحتلال الأمريكي لأفغانستان والعراق، وبسبب استخدامها الضربات بطائرات من دون طيار في أنحاء العالم. وعندما سأل القاضي كيف أمكن لشاهزاد أن يشعر بالارتياح بقتل أناس أبرياء، بينهم نساء وأطفال، أجاب بقوله: «حسناً، الطائرة من دون طيار تضرب في أفغانستان والعراق، وهم لا يرون الأطفال، ولا يرون أحداً، فهم يقتلون النساء والأطفال، بل يقتلون الجميع. إنها حرب، وفي الحرب يقتلون الناس. إنهم يقتلون المسلمين جميعاً».[1] وفي مقطع فيديو صدر بعد اعتقاله، أوضح شاهزاد أن من بين دوافعه لشن الهجوم على مدينة نيويورك الرغبة في الانتقام لموت بيت الله محسود، أحد زعماء طالبان باكستان، حيث قتل بسبب قصف من طائرة من دون طيار في أغسطس 2009. [2] وعلى الرغم من نقل الصحافة الأمريكية أقواله، فإن إدارة الرئيس الأمريكي باراك أوباما لم تعترف أبداً بأن الاستياء من عمليات القصف بالطائرة من دون طيار – التي أشيع أن شاهزاد كان قد رآها بنفسه أثناء تدريبه مع جماعات المقاتلين في باكستان – هو الذي دفعه إلى القيام بهجومه.[3] وفي التصريح الرسمي لأوباما حول الهجوم عاد إلى استخدام لغة تذكر بسلفه، حيث وصف شاهزاد بأنه واحد آخر من أولئك «الذين يهاجمون مواطنينا ويقتلون رجالاً ونساء وأطفالاً أبرياء اتباعاً لأجندتهم الدموية»، و«لن يتورعوا عن قتل نظام حياتنا وإفساده».[4] لم يتم الاعتراف مطلقاً بأن هجوم تايمز سكوير كان رداً على تزايد استخدام ضربات الطائرات من دون طيار في أفغانستان وباكستان وأماكن أخرى.

وقد كانت عملية تفجير تايمز سكوير الفاشلة إيذاناً بمقدم أول عملية رد على تبني الرئيس أوباما "سياسة محاربة الإرهاب باستخدام الطائرات من دون طيار أولاً" على التراب الأمريكي. وليس هناك من سبب لأن نعتقد بأنها ستكون الأخيرة. عندما تسلّم أوباما منصبه تعهد بأن ينهي "الحرب على الإرهاب"، وأن يستعيد الاحترام لحكم القانون

في سياسات محاربة الإرهاب الأمريكية. وبدلاً من ذلك، فقد كان بمستوى القسوة واللامبالاة بحكم القانون نفسه الذي كان عليه سلفه. ويكاد لا يكون ثمة تغير في الأبعاد الأساسية لسياسة محاربة الإرهاب الأمريكية بين الإدارتين، علماً أنه حدث تغير في اللهجة والتركيز.[5] ففي حين دعا الرئيس السابق جورج بوش الابن إلى الحرب للدفاع عن "الحضارة" ضد التهديد المتمثل بالإرهاب، قام الرئيس أوباما بشن حربه على الإرهاب في الظل مستخدماً ضربات الطائرات من دون طيار والعمليات الخاصة والمراقبة المتطورة لخوض حرب سرية ووحشية ضد القاعدة وشبكات إسلامية أخرى. لقد وصف أعضاء في إدارة أوباما نهجه الذي يركز على بضع "قوات مقاتلة" نسبياً، ويتفادى مهمات بناء الدولة، بأنه يتميز بالكفاءة، وبأنه ضروري من الناحية الأخلاقية، بالنظر إلى حالة الاقتصاد الأمريكي وسأم الشعب الأمريكي من الحرب.[6] ومن أكثر العناصر تمييزاً لنهج أوباما استخدامه الطائرات من دون طيار؛ فخلال فترة ولايته الأولى قام أوباما بشن ضربات بالطائرات من دون طيار تعادل ستة أضعاف ما شنه الرئيس بوش طوال فترة رئاسته التي بلغت ثماني سنوات، وطوال الوقت كان يحتفظ ببرنامج الطائرات من دون طيار الذي تديره وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية "السي آي إيه" بعيداً عن تفتيش الكونجرس والمحاكم.[7] وتستخدم الولايات المتحدة الأمريكية الطائرات من دون طيار الآن لقتل إرهابيين مشتبه فيهم بأربع دول على الأقل (أفغانستان وباكستان واليمن والصومال)، علماً أنه شاع أن ضربات هذه الطائرات قد استخدمت في أماكن أخرى.[8] وتدير السي آي إيه الحملات في باكستان واليمن والصومال، مع القليل من الرقابة في الكونجرس، بل إن إدارة أوباما أنكرت في المحاكم وجودها.[9] ويبقى معظم الأمريكيين جاهلين بنطاق برنامج الطائرات من دون طيار الناشط في هذه الدول وبالدمار الذي أحدثته باسمهم.

لقد ركز جانب كبير من الجدل الدائر حول الطائرات من دون طيار على قانونيتها بموجب القانون الدولي والداخلي واستخدامها من الناحية الأخلاقية كسلاح في الحرب.[10] فإذا وضعنا هذه القضايا بصورة عامة جانباً، فإن هذه الدراسة ستثبت قضية مختلفة؛ وهي أن اعتماد إدارة أوباما المتزايد على ضربات الطائرات من دون طيار له آثار سلبية لم يتم

وزنها وتقديرها بالمقارنة مع المكاسب التكتيكية المرتبطة بقتل الإرهابيين. وسوف تركز الدراسة بشكل رئيس على التكاليف الاستراتيجية لحملات الطائرات من دون طيار التي تديرها وكالة الاستخبارات المركزية خارج مسارح الحرب النشيطة (وتحديداً باكستان واليمن والصومال)، ولن تتناول فوائد الطائرات من دون طيار وتكاليفها داخل مسارح الحرب النشيطة مثل أفغانستان.[11] وسوف تطعن الدراسة في صحة الفكرة الشائعة بأن ضربات الطائرات من دون طيار في الأماكن غير الخاضعة للسيطرة في هذه الدول تعتبر عالية الفاعلية، وذلك من خلال مقارنة الدعاوى حول كفاءتها النسبية في قتل "الأشرار" بآثارها السياسية في الدول التي تستخدم فيها. وسوف تدلل على أن هذه الضربات تقلص من استقرار الحكومات المحلية وشرعيتها، وتزيد من عمق المشاعرالمعادية للأمريكيين، وتوجد مجندين جدداً للشبكات الإسلامية الهادفة إلى إطاحة هذه الحكومات. وعلى الرغم من أن ضربات الطائرات من دون طيار تستخدم غالباً في باكستان واليمن فهي تمثل إشارات قوية تدل على عجز هذه الحكومات وتبعيتها للولايات المتحدة الأمريكية، كما تقوض الدعوى بأن هذه الحكومات يمكن أن تكون منافسة ذات مصداقية لكسب ولاءات شعوبها. ومن شأن هذه الدينامية أن تجعل من الصعب - إن لم يكن من المستحيل - إقامة مجموعة مستقرة من الشراكات للتعاون في مكافحة الإرهاب؛ لأن هذه الشراكات تعتمد على وجود حكومات تتمتع بالقدرة والشرعية، وتحرس أراضيها، وتتعاون بكفاءة مع الولايات المتحدة الأمريكية. وفي هذا الخصوص، فإن سياسة مقاومة الإرهاب الأمريكية تعمل على تحقيق أغراض متناقضة؛ فهي تقدم سيلاً من الأسلحة والموارد المالية للحكومات التي تسهم هي في تقويض شرعيتها منهجياً من خلال تنفيذ ضربات بالطائرات من دون طيار من طرف واحد على أراضيها. وسوف تبرهن هذه الدراسة أيضاً على أن "سياسة محاربة الإرهاب باستخدام الطائرات من دون طيار أولاً" هي طرح استراتيجي خاسر على المدى البعيد. إن تبني إدارة أوباما لأسلوب الطائرات من دون طيار يؤدي إلى تشجيع سباق تسلح جديد في هذا النوع من الطائرات؛ بما يسهم في تمكين المنافسين الحاليين والمستقبليين، وإرساء القواعد لنظام دولي يزداد عنفاً واضطراباً واستقطاباً بين الذين يملكون طائرات من دون طيار، والذين وقعوا ضحية لها.

خرافة فاعلية الطائرات من دون طيار

الحجة الرئيسة لمصلحة استخدام الطائرات من دون طيار هي أنها عالية الفاعلية في قتل الناشطين الإرهابيين في مناطق لا يمكن الوصول إليها من دون إحداث خسائر كبيرة بين المدنيين. وقد أصبحت هذه الحجة مؤخراً الموقف شبه المجمع عليه بين قادة الوكالات الحكومية الرئيسة المشاركة في سياسة محاربة الإرهاب في واشنطن.[12] وقد أكد وزير الدفاع ليون بانيتا أن الطائرات من دون طيار دقيقة بدرجة ملحوظة ومحدودة الأضرار الجانبية، وكانت هي «الوسيلة الوحيدة للسعي إلى تعطيل قيادة القاعدة».[13] وعلى نحو مماثل، قال مدير وكالة الاستخبارات المركزية السابق، مايكل هايدن Michael Hayden إن ضربات الطائرات من دون طيار قد جعلت مناطق، مثل المناطق القبلية الخاضعة للإدارة الاتحادية في باكستان غير آمنة، ولا تشكل ملاذات لتنظيم القاعدة والشبكات المرتبطة به.[14] وقد ساند كبار المستشارين في إدارتي بوش وأوباما لشؤون محاربة الإرهاب عمليات الطائرات من دون طيار. وقد قال مستشار بوش السابق لشؤون محاربة الإرهاب، جوان زاراتي Juan Zarate، إن ضربات الطائرات من دون طيار قد دكت معاقل القاعدة وكانت السبب في موت العديد من كبار الناشطين فيه.[15] أما جون برينان John Brennan، كبير مستشاري الرئيس أوباما لشؤون محاربة الإرهاب، فقد أصر على أن الضربات المستهدفة هي ضربات حكيمة وأخلاقية وضرورية بالنظر إلى حقائق مهاجمة الناشطين الإرهابيين في المناطق النائية، أو التي يصعب الوصول إليها.[16] أما خارج الإدارة، فيبدو أن هناك القليل من المعارضة الجوهرية لسياسة القتل بواسطة الطائرات من دون طيار، حتى في أوساط أشرس معارضي الرئيس في الحزب الجمهوري.

يمكن تقسيم الحجج والدلائل على فاعلية الطائرات من دون طيار إلى أربع دعاوى منفصلة: (1) إن الطائرات من دون طيار تتميز بالفاعلية في قتل الإرهابيين بأقل الخسائر في أرواح المدنيين. (2) إن الطائرات من دون طيار نجحت في قتل ما يسمى "أهدافاً عالية القيمة". (3) إن استخدام الطائرات من دون طيار يضع ضغطاً شديداً على المنظمات

الإرهابية، بحيث تحدّ من قدرتها التنظيمية، وقدرتها على تسديد ضربات. (4) إن تحليل التكاليف-المنافع في استخدام هذه الطائرات، بالمقارنة مع خيارات أخرى – مثل نشر قوات برية – يمثل حجة مقنعة لمصلحتها. وينبغي ألا يؤخذ أي من هذه الدعاوى بقيمتها الظاهرية؛ فالأدلة الكامنة خلف كل منها قد تكون أقل إقناعاً مما هو مفترض، بسبب البيانات الموثوق فيها حول ضربات الطائرات من دون طيار من جهة، وصعوبة معرفة نتائجها من جهة أخرى. وبعض هذه الحجج مبنية على خيال مضاد، وهو موضع شك؛ إذ يسعى لقياس تكاليف ضربات الطائرات من دون طيار، بالمقارنة مع آثار هجمات العدو التي تم منعها، والافتراضية تماماً.[17] وبعضها الآخر يجمع بين الكفاءة – أي نسبة المدخلات إلى المخرجات المواتية في تنفيذ نشاط ما – والفاعلية في تحقيق هدف أوسع نطاقاً. وهناك حجج أخرى حول فكرة التخفيف من الفاعلية، تركز حصرياً على المستوى التكتيكي دون اعتبار للتكاليف الاستراتيجية الأوسع نطاقاً لحرب الطائرات من دون طيار. إن الموقف المتمثل في اعتماد السياسة الخارجية الأمريكية على الطائرات من دون طيار – باعتبارها أداة فعالة تحد من الخسائر بين المدنيين – يرتكز على قراءة جزئية وانتقائية جداً للأدلة.

يرتكز الزعم بأن الطائرات من دون طيار فعالة في قتل الناشطين الإرهابيين من دون إحداث خسائر في الأرواح بين المدنيين على بيانات مشكوك في مصداقيتها وصحتها. وقد صنفت الحكومة الأمريكية جميع تفاصيل برامج الطائرات من دون طيار تقريباً، ولم تقدم مطلقاً أي حسابات محددة لعدد الضربات، أو الخسائر الناجمة عن تلك الضربات.[18] وليس هناك من أحد بين المدافعين أو المنتقدين يعلم حقاً عدد الوفيات التي سببتها الطائرات من دون طيار في هذه المناطق البعيدة، وغير الخاضعة لسيطرة الحكومات أحياناً. ففي غياب إحصاءات حكومية رسمية، قام عدد من المنظمات المستقلة بإنتاج بيانات حول ضربات الطائرات من دون طيار اعتماداً على تقارير صحفية ومصادر استخباراتية، وهناك تباين شديد في إجمالي عدد الخسائر البشرية المزعومة في ضربات هذه الطائرات عبر قواعد البيانات هذه. وتشير البيانات المنقولة على نطاق واسع، التي جمعتها مؤسسة أمريكا الجديدة The New America Foundation، إلى تنفيذ 334 ضربة بالطائرات من دون طيار في باكستان وحدها بين يناير 2009 وأكتوبر 2012.[19] ويعتبر الرئيس أوباما مسؤولاً

عن حدوث زيادة هائلة في عدد ضربات الطائرات من دون طيار، وذلك بتنفيذ 288 ضربة (86٪ من العدد الإجمالي) في باكستان وحدها في تلك الفترة. وليس هناك من أرقام دقيقة متوافرة حول عدد الخسائر الناجمة عن كل ضربة، بل هي مجرد تقديرات مبنية على تقارير إخبارية متضاربة غالباً. ويراوح عدد الخسائر في الأرواح بين 1886 و3191 خلال الفترة 2004–2012، ما يدل على معدل يراوح بين 5.6 و9.5 أشخاص قتلوا في كل ضربة. وقد جمع مكتب تحقيقات الصحافة The Bureau of Investigative Journalism، بياناته حول الضربات في باكستان، ووجد أنه تم تنفيذ 346 ضربة بالطائرات من دون طيار بين يونيو 2004 وأكتوبر 2012. وقد توصل إلى أن عدد الخسائر في الأرواح راوح بين 2570 و3337، الأمر الذي يدل على معدل يراوح بين 7.4 و 9.6 أشخاص قتلوا في كل ضربة.[20] وقد نقل مكتب تحقيقات الصحافة أن هناك ما بين 1232 و1366 باكستانياً أصيبوا نتيجة هجمات الطائرات من دون طيار خلال فترة السنوات الثماني تلك. كما أفاد بأنه تم شن 40–50 ضربة بالطائرات من دون طيار في اليمن خلال الفترة من عام 2002 إلى سبتمبر 2012، حيث بلغ عدد الخسائر في الأرواح ما بين 357 و1026. [21] وفي الصومال، تم شن ما بين ثلاث وأربع ضربات بالطائرات من دون طيار، فبلغ عدد الخسائر في الأرواح ما بين 58 و170 فرداً.

إن الأعداد الإجمالية لا تحكي سوى جزء من القصة الحقيقية لضربات الطائرات من دون طيار. وقد صنفت مؤسسة أمريكا الجديدة ما يقارب 85٪ من الذين قتلوا بين عامي 2004 و2012 بأنهم "مقاتلون".[22] وتدل البيانات الخاصة بها على أن دقة ضربات الطائرات من دون طيار قد ازدادت مع مرور الوقت. ففي الفترة 2004–2007، شكلت نسبة المدنيين 50٪ من الخسائر بسبب ضربات هذه الطائرات في باكستان، ولكن هذه النسبة تعادل 1٪ فقط من جميع الخسائر في عام 2011. [23] وإذا أخذت هذه البيانات على علاتها، فإنها تشير إلى أن برينان Brennan كان على حق عندما دلل على أن الإصابات بين المدنيين بسبب ضربات الطائرات من دون طيار في باكستان هي "نادرة للغاية".[24] ويعتبر مكتب تحقيقات الصحافة أكثر حذراً بشأن إطلاق وصف "مقاتلين" على ضحايا ضربات الطائرات من دون طيار، لكنه يحافظ على رقم إجمالي لقائمة المدنيين الذين قتلوا بضربات الطائرات من دون طيار، حيث تدل بياناته على أن أعداد الخسائر في المدنيين تراوح ما بين

18٪ و26٪ من أصل ضحايا ضربات هذه الطائرات في باكستان، و16٪ تقريباً من الوفيات بسبب هذه الضربات في اليمن، وبين 7٪ و33.5٪ من الوفيات بسبب الضربات هذه في الصومال.[25] وقد جادل المدافعون عن الطائرات من دون طيار بأن نسب هذه الخسائر في أرواح المدنيين – مقرونة بالتكلفة المالية المنخفضة للطائرات من دون طيار، وعدم وجود خطر على الجنود الأمريكيين في هذه العمليات – تدعم حججاً مقنعة لمصلحة الطائرات من دون طيار بأنها سلاح أخلاقي وفعال في الحرب.[26]

إن التباين الواسع في تقديرات أعداد "المقاتلين" و"المدنيين" المقتولين عبر هذه البيانات تثير تساؤلات حول صحة التقارير الإخبارية الكامنة وراءها ومصداقيتها. أولاً، يكاد يكون من المستحيل التحقق من عدد المدنيين المقتولين في أي ضربة من ضربات الطائرات من دون طيار؛ إذ إن معظم هذه الضربات مركزة في مناطق خارج سيطرة الحكومات في باكستان واليمن والصومال؛ حيث لا تملك الحكومة سوى قدرة محدودة على مراقبة الهجمات أو التحقيق في نتائجها. ونتيجة لذلك، فإن معظم تقديرات الخسائر في الأرواح هي تخمينات يتم تناقلها، وتتباين كثيراً في أعداد الضحايا وأنواعها على حد سواء.[27] أضف إلى ذلك، أنه يتم نقل ضحايا ضربات الطائرات من دون طيار من منطقة الهجوم، ويتم دفنهم على عجل وفقاً للشريعة الإسلامية، ما يجعل التحقق من أعداد القتلى وهوية الضحايا مستحيلاً تقريباً.[28]

ثانياً، غالباً ما يؤكد المسؤولون في الحكومة والاستخبارات في الولايات المتحدة الأمريكية والدول المستهدفة على حد سواء، دون أدلة، أن جميع الذين يتم قتلهم هم إما "مقاتلون" أو "مدنيون".[29] ويتم تقديم هذه التأكيدات غالباً على أنها حقيقة في مقالات الصحف التي تمثل الأساس لمعظم مجموعات البيانات المتوافرة. ثالثاً، تخضع أعداد الخسائر في الأرواح إلى قدر كبير من التحوير والتدوير من الأطراف كافة.[30] فعلى سبيل المثال، تقوم الجماعات الإسلامية بتضخيم عدد القتلى بسبب الضربات الأمريكية، ويدفعون بقوة بالأعداد الإجمالية للخسائر في الأرواح إلى وسائل الإعلام المحلية والدولية. بالمثل تقوم الولايات المتحدة الأمريكية غالباً بالتقليل من عدد ضحايا الطائرات من دون طيار، حتى عندما تشير الأدلة المتاحة إلى وقوع حوادث مقتل المدنيين. على سبيل

المثال، صرح بريناان بأنه لم يكن ثمة ضحايا مدنيون لضربات الطائرات من دون طيار بين يونيو 2010 ويونيو 2011. [31] وفي مقابل أدلة واضحة تفيد عكس ذلك، زعم مسؤول آخر في إدارة أوباما أن الضحايا لم يتجاوزوا عدد "أصابع اليد الواحدة"، وأشار إلى أن الذين يفيدون في تقاريرهم بأن عدد الضحايا من المدنيين بالمئات إنما يستخدمون بغباء دعاية معادية.[32] وعلى الرغم من وجود مبررات للشك في أن ضربات الطائرات من دون طيار أصبحت أكثر دقة وتحدث عدداً من الضحايا في صفوف المدنيين أقل مما كانت تسبب في الفترة 2004–2008، فليس ثمة مبرر للاعتقاد بأن عدد الخسائر في أرواح المدنيين هو بالآحاد؛ ذلك أن التقديرات المستقاة من أفضل مصادر قواعد البيانات تدل على أن أرقام القتلى من المدنيين أعلى بكثير.[33]

يكمن أحد أسباب نجاح الولايات المتحدة الأمريكية في التقليل من عدد الخسائر في المدنيين في اعتمادها طريقة جدلية في تتبع الإصابات أو الخسائر في المدنيين، تسهم في تضخيم الأعداد الإجمالية للقتلى من "المقاتلين المتشددين"، وتقلل بشكل منهجي من الخسائر في المدنيين. فقد ورد في تقرير لصحيفة **نيويورك تايمز** أن الولايات المتحدة تسجل جميع الذكور في سن الخدمة العسكرية في منطقة الضربات على أنهم "مقاتلون" ما لم يبرز دليل واضح على العكس بعد الهجوم.[34] وتفترض هذه الطريقة أن أي شخص يكون قرب ناشط مستهدف يعتبر "شخصاً سيئاً"؛ بسبب النسب المرتفعة للأمن العملياتي الذي تحافظ عليه جماعات كالقاعدة. وهذا الافتراض للجرم بالتبعية لا مبرر له لأسباب ثلاثة. أولاً، لا أحد – حتى ولا إرهابي متشدد – يعتبر بمنزلة جزيرة [منعزلة]. وكما اتضح من الغارة على بن لادن، فإن عدداً كبيراً من "الإرهابيين" أو "المقاتلين" يعيشون مع عائلاتهم، ولديهم تفاعلات مع مجموعة من الجهات الفاعلة؛ مثل أصحاب المحال والموردين والسائقين، الذين يعتبرون أبرياء، لكنهم على اتصال اعتيادي نوعاً ما معهم. فقتل هؤلاء الأشخاص في ضربات الطائرات من دون طيار وافتراض أنهم مذنبون بالتبعية هو انتهاك لمبدأ حصانة غير المقاتلين الموجود في صميم القانون الإنساني الدولي. ثانياً، لقد اتسع نطاق ضربات الطائرات من دون طيار لتستهدف منظمات، مثل طالبان وشبكة حقاني وجماعات إسلامية أصغر حجماً لديها مستويات أدنى من الأمن العملياتي، وعلاقات أكثر كثافة مع

السكان المدنيين من علاقات القاعدة. ومن الأرجح أن استخدام الطائرات من دون طيار لمهاجمة الشبكات المقاتلة المحلية الكامنة ضمن السكان المدنيين يحمل معه مخاطر أعلى تتمثل في قتل غير المقاتلين. ثالثاً، تم تنفيذ كثير من الضربات على مساكن في مناطق (مثل وزيرستان) يكون العرف الثقافي فيها أن يعيش عدد كبير من أفراد الأسرة معاً في مبنى واحد، وبدائي أحياناً. ومن المرجح جداً في مثل هذه الحالات أن تؤدي الانفجارات بسبب ضربات الطائرات من دون طيار إلى قتل نساء وأطفال أو جرحهم. ففي باكستان، على سبيل المثال، ذكرت تقارير مكتب تحقيقات الصحافة أنه تم قتل 176 طفلاً في ضربات الطائرات من دون طيار منذ عام 2004.[35] وعلى الرغم من حتمية سقوط بعض المدنيين ضحايا في الحروب، فإن الاستهداف المباشر لهذه المساكن يمكن أن يزيد من عدد الخسائر في المدنيين بما يفوق العدد الذي يعتبر متناسباً. ومما يلفت النظر أكثر من ذلك أن أسلوب إدارة أوباما "بالتجريم بسبب التبعية" ينطوي ضمناً على عدم اكتراث بتحديد وضعية المقاتل للضحايا المحتملين، حيث يعتبر ذلك مخالفاً للمسؤولية القانونية والأخلاقية التي تقضي بقيامهم بهذا التحديد قبل قتلهم.[36]

كانت نتيجة انتهاج أسلوب "الجرم بالتبعية" التخفيف التدريجي للمعايير التي تنتقي الولايات المتحدة الأمريكية بموجبها الأهداف لضربات الطائرات من دون طيار. ويمكن رؤية العواقب في استهداف المساجد أو مواكب الجنازات، الذي تم فيه قتل غير المقاتلين، وتمزيق النسيج الاجتماعي في المناطق التي حدث فيها. ففي فبراير 2012، نقل مكتب تحقيقات الصحافة أن ضربات الطائرات من دون طيار الأمريكية في باكستان وحدها قتلت على الأقل 50 مدنياً كانوا يشاركون في مساع لإنقاذ ضحايا ضربة سابقة بالطائرات من دون طيار.[37] وقد أسهمت هذه الضربات التي تسمى "مزدوجة الأهداف" في تزايد أعداد الخسائر في الأرواح من المدنيين؛ لأن أسر الضحايا وخدمات الطوارئ تمتنع الآن عن المجيء لإسعاف المصابين خوفاً من سقوطهم ضحية للهجمات اللاحقة. والنتيجة هي أن المصابين غالباً ما يبقون ملقين على الأرض وهم يعانون، وأحياناً يموتون، بسبب انعدام العناية الطبية. وتعتبر هذه الهجمات الثانوية الآن شائعة إلى درجة أن إحدى المنظمات الإنسانية وضعت سياسة تحرم على موظفيها الاقتراب من منطقة ضربات

الطائرات من دون طيار لمدة ست ساعات على الأقل بعد الهجوم.[38] وهناك دينامية مشابهة ظهرت في الضربات التي استهدفت مواكب الجنازات. فقد دلت بيانات مكتب تحقيقات الصحافة على أن 20 مدنياً على الأقل قتلوا في ضربات الطائرات من دون طيار على مواكب الجنازات.[39] وهناك بعض التقديرات للخسائر في الأرواح بسبب الهجمات على الجنائز هي أعلى من ذلك. ففي يونيو 2009 كانت هناك ضربة - شاع أنها بواسطة طائرة من دون طيار، ولكن لم يتم تأكيدها مطلقاً - استهدفت موكباً جنائزياً لأحد كبار زعماء طالبان باكستان، ويقال إنها قتلت ما يصل إلى 60 شخصاً، منهم عدد من الشخصيات القيادية في الحركة.[40] وتوضح هجمات كهذه كيف أن معايير التناسب أو التوازن قد تآكلت بسبب حرب الطائرات من دون طيار؛ لأن الولايات المتحدة الأمريكية انخرطت في هجمات تقتل من المدنيين أكثر مما تقتل من المقاتلين إن استهدفت القضاء على أهداف عالية القيمة. ومع ذلك، فإن الاستهداف المتعمد لفعاليات مدنية، مثل مواكب الجنازات، وخدمات الطوارئ القادمة لإسعاف الضحايا، ليس متناسباً ولا مبرراً، ويمثل جرائم حرب إن تم تنفيذها في مسرح الحرب النشيطة.

ويمكن أيضاً مشاهدة الطبيعة العشوائية لضربات الطائرات من دون طيار على نحو متزايد من خلال اعتماد ما يسمى "بالضربات التوقيعية أو غير المميِّزة" signature strikes، حيث لا يكون معيار الاستهداف كون الفرد مقاتلاً بل المعيار هو "شكل تصرفاته".[41] وفي هذه الحالات، يتم منح التصريح للضربات من دون معرفة هوية الهدف، بل بناء على التصرفات؛ مثل الاجتماع في مجمع معروف للقاعدة، أو تحميل شاحنة بما يبدو مادة لصنع القنابل، أو حتى عبور حدود مرات عدة خلال فترة قصيرة، فذلك يبدو مثاراً للشكوك. والخطر الواضح هو أنه سيتم قتل مزيد من الناس الأبرياء على أساس التفسير الخاطئ للتصرفات من قبل مشغلي الطائرات من دون طيار، أو أن المعايير التي يتم تحديد "نمط الحياة" بموجبها يمكن أن تكون غير دقيقة.[42] وقد أشار أحد كبار مسؤولي وزارة الخارجية إلى أنه عندما يرى مسؤولو وكالة الاستخبارات المركزية «ثلاثة أشخاص يقومون بتمارين وثب» يفترضون أنه لابد أنه معسكر تدريب للإرهابيين.[43] إن الأخطار الإيجابية الخاطئة - أي الضربة التي تقتل المدنيين فقط بالخلط بينهم وبين المقاتلين - من

خلال ضربات الطائرات من دون طيار، تعتبر أكبر كثيراً من أخطار الضربات التي يكون الهدف فيها محدداً مسبقاً، وإن لم يكن بشكل تام. ويسهم اعتماد "الضربات التوقيعية أو غير المميِّزة" في جعل القتل العشوائي سياسة، ويعكس لا مبالاة كامنة بوضع الضحايا المحتملين في ما إذا كانوا مقاتلين أم لا. وهذا يتناقض مع الأساس القانوني والأخلاقي للحروب الحديثة.

يرتكز الزعم الرئيس الثاني حول فاعلية ضربات الطائرات من دون طيار وقدرتها على قتل الأهداف عالية القيمة، الذين يُعرفون بالقادة العملياتيين والسياسيين الرئيسين في تنظيم القاعدة والجماعات المرتبطة به. ومنذ حملته الانتخابية وحتى الآن، ظل أوباما يؤكد باستمرار أنه لن يتردد في استخدام القوة المهلكة للقضاء على شخصيات قيادية في القاعدة.[44] ومع ذلك، فإن السجل الفعلي لضربات الطائرات من دون طيار يدل على أن القوات تحت قيادته قتلت ناشطين مرتبطين بحركات إسلامية أخرى ومدنيين أدنى مرتبة بكثير من قيادات القاعدة. وقد قدر بيتر بيرجن Peter Bergen أن ضربات الطائرات من دون طيار قد قتلت 49 قائداً "مقاتلاً" رفيعي المستوى منذ عام 2004، وهو ما يعادل نسبة 2٪ فقط من إجمالي عدد القتلى بواسطة ضربات الطائرات من دون طيار.[45] ونسبة 98٪ الباقية كانت موجهة ضد الناشطين الأدنى مرتبة، الذين لم يشارك إلا بعض منهم في أعمال عدائية مباشرة ضد الولايات المتحدة والمدنيين. وكثير من هؤلاء الناشطين لا يشكلون أي تهديدات مباشرة أو وشيكة، بل تهديدات تخمينية، مثل الأشخاص الذين يمكن أن يقوموا في يوم ما بمهاجمة الولايات المتحدة أو مصالحها في الخارج.[46] وحتى بعد أن زاد الرئيس أوباما عدد الطائرات من دون طيار فقد «تراجع عدد القادة الذين تم قتلهم أو بالكاد زاد».[47] وفي عام 2010، استنتج مقاتل من شبكة حقاني متوسط المرتبة أنه «يبدو أنهم في الواقع يريدون قتل الجميع، وليس القادة فقط».[48] إن القرار بتوسعة القتل المستهدف إلى هذا النطاق واستهداف حتى "جنود مشاة" منخفضي المرتبة يعتبر غير مسبوق، ويجعل برنامج إدارة أوباما للطائرات من دون طيار مختلفاً في نطاقه وصفته عن عمليات القتل المستهدفة في أماكن أخرى.[49]

لم يكن مدى استهداف إدارة أوباما للناشطين المنخفضي المرتبة من دون عواقب؛ فكثير من هؤلاء الناشطين المنخفضي المرتبة مرتبطون بقوة بالهياكل القبلية والعشائرية المحلية. وقد يدفع مقتلهم بسبب ضربات الطائرات من دون طيار أولئك المرتبطين بهم بالروابط الأسرية والقبلية إلى السعي للانتقام، ما يعزز تزايد صفوف تنظيم القاعدة والجماعات المنتمية إليه. وقد دل على ذلك قول ديفيد كيلكولين David Kilcullen وأندرو إكسوم Andrew Exum: «يمثل كل واحد من هؤلاء القتلى من غير المقاتلين أسرة تم استعداؤها، ورغبة جديدة بالثأر، ومزيداً من المجندين الذين تستقطبهم حركة مقاتلة تنامى عددها أضعافاً مضاعفة مع تزايد ضربات الطائرات من دون طيار».[50] أضف إلى ذلك، أن الزيادة الهائلة في عدد القتلى من الناشطين المنخفضي المرتبة أسهمت في تعميق المقاومة السياسية للبرنامج الأمريكي في باكستان واليمن ودول أخرى. وعلى سبيل المثال، فعلى الرغم من أن المسؤولين الباكستانيين أيدوا ذلك، بل واحتفلوا بضربات الطائرات من دون طيار ضد الناشطين الرفيعي المرتبة، مثل بيت الله محسود، فقد كان لديهم رأي أشد قتامة في محاولات وكالة الاستخبارات المركزية لقتل مجرد جنود مشاة بضربات مماثلة.[51] ومن شأن مثل هذه الضربات أن تسبب مزيداً من الضغط السياسي على الحكومة الباكستانية لمعارضة الولايات المتحدة أكثر من معارضتها لشخصيات مشهورة كانت قيادتها في الشبكات المقاتلة من دون منازع. وقد أشار زعيم المعارضة الباكستاني عمران خان بصورة مباشرة إلى مقتل مدنيين وناشطين منخفضي المرتبة باعتبار ذلك مبرراً له، إن تم انتخابه، لأن يأمر القوات الجوية بإسقاط الطائرات من دون طيار الأمريكية.[52] وقد حدث حراك مماثل في اليمن، حيث أسهمت ضربات الطائرات من دون طيار الأمريكية في دفع مزيد من المدنيين للانضمام إلى صفوف القاعدة، وفي تعزيز قوات المتمردين المحليين الذين تحدوا الحكومة اليمنية.[53]

ثالثاً، يجادل المدافعون عن الطائرات من دون طيار بأنها كانت فعالة في تسليط ضغط كاف على نشاطات الإرهابيين للحد من كفاءتهم التنظيمية وقدرتهم على تسديد ضربات، ويتمثل الأساس المنطقي لهذه الحجة في أنه حينما تسلط ضربات الطائرات من دون طيار ضغوطاً على أعضاء جماعة إرهابية، فإن هذه الجماعة تبدأ في التفكك وتفقد أعضاءها وتنهار في نهاية المطاف. وهناك بالتأكيد بعض الأدلة المستمدة من تقارير وصفية على أن

المقاتلين وجدوا أن القيام بعمليات قد ازداد صعوبة بسبب ضربات الطائرات من دون طيار، وبصورة خاصة، فإن ضرورة التحرك باستمرار تفادياً لضربات الطائرات من دون طيار قد زاد من صعوبة تدريب الناشطين والتخطيط لتنفيذ عمليات في أماكن أكثر بعداً.[54] حتى إن تنظيم القاعدة اعترف بالآثار المدمرة لضربات الطائرات من دون طيار، وقالوا في أحد إصداراتهم «إنه يمكن مشاهدة الأشلاء والخراب والاعتقالات والمطاردات، أما هم أنفسهم [أي عدوهم] فلا يمكن مشاهدتهم، كمثل الشيطان ومن هم على شاكلته تماماً، الذين يرونكم من حيث لا ترونهم».[55] وهناك بعض الكتابات التي عثر عليها بعد مقتل بن لادن يعبر فيها عن أسفه وحزنه من آثار ضربات الطائرات من دون طيار، ويوصي فيها بأن يفر قادة القاعدة من وزيرستان إلى مناطق أكثر أماناً تفادياً لها.[56]

مع ذلك، فإن الأدلة على أن الطائرات من دون طيار تحد من حرية الجماعات الإرهابية في تنفيذ عملياتها وتدفع بها نحو الانهيار تعتبر أكثر غموضاً مما تدل عليه هذه التقارير.[57] ففي باكستان، أدت ضربات الطائرات من دون طيار إلى إضعاف صفوف القاعدة كثيراً، غير أنهم لم يتخلوا تماماً عن القتال. فقد هرب مئات من أفرادها إلى ميادين المعارك في اليمن والصومال والعراق وسوريا وأماكن أخرى.[58] ويأتي هؤلاء الناشطون معهم بالمهارات والخبرات والأسلحة اللازمة لتحويل هذه الحروب إلى صراعات أشد شراسة وربما أطول زمناً.[59] وبتعبير آخر، لعل الضغط الذي شكلته ضربات الطائرات من دون طيار قد شتت مقاتلي القاعدة، لكنه لم يحيّدهم أو يبطل مفعولهم. وقد وحّد عدد كبير من أفراد القاعدة جهودهم مع جماعات الثوار المحليين في سوريا ومالي وأماكن أخرى، ما زاد من عمق الصراعات في هذه الدول.[60] وفي حالات أخرى، شكلت الطائرات من دون طيار وقوداً للحركات المقاتلة، وأعادت تنظيم التحالفات والمواقع للمقاتلين المحليين. وبعد تصعيد ضربات الطائرات من دون طيار في اليمن، دفعت الرغبة في الانتقام المئات، إن لم يكن الآلاف، من رجال القبائل اليمنيين للانضمام إلى تنظيم القاعدة في جزيرة العرب، وكذلك إلى شبكات مقاتلة محلية أصغر حجماً.[61] وحتى في باكستان التي أسهمت فيها ضربات الطائرات من دون طيار في إضعاف القاعدة وبعض الحركات المنتمية له، لم تخلُ منهم ساحة المعركة. ففي باكستان، انتقلت جماعات إسلامية أخرى إلى ملء الفراغ الذي سببه غياب القاعدة، وبعض هذه الجماعات، لاسيما تجمع جماعات تحت اسم حركة

طالبان باكستان، تمثل الآن تهديداً للحكومة الباكستانية أكبر مما كان يشكله تنظيم القاعدة من ذي قبل.[62] ولضربات الطائرات من دون طيار آثار سياسية على بيئة شبكات المقاتلين في هذه الدول، حيث جعلت بعض الجماعات المسلحة في وضع أفضل، في حين سببت شللاً لجماعات أخرى. وهذا الحراك هو الذي يقف وراء قرار الولايات المتحدة الأمريكية بالتوسعة التدريجية لقائمة الجماعات المستهدفة بضربات الطائرات من دون طيار، وغالباً بطلب ملحّ من باكستان. وقد بدأت الولايات المتحدة باستخدام هذه الطائرات ضد أعداء باكستان، دون التركيز حصرياً على القاعدة، وقد شمل هؤلاء حركة طالبان أفغانستان، وجماعة الملا نزير، وشبكة حقاني، وجماعات إسلامية أخرى أصغر حجماً.[63] وكانت النتيجة أن أضعفت الولايات المتحدة الأمريكية عدوها الرئيس، القاعدة، ولكن بتكلفة جديدة هي إضافة مجموعة جديدة من الأعداء، قد يجد بعضهم طريقاً للرد على الضربات.[64] وقد ظهرت تكلفة هذه التوسعة للأهداف للعيان، عندما شكلت حركة طالبان باكستان إلهاماً لفيصل شاهزاد ودربته على شن هجومه في ساحة تايمز سكوير.[65] وعلى نحو مماثل ادعت حركة طالبان أفغانستان أنها شاركت، ربما مع القاعدة، في الهجوم على مواقع لوكالة الاستخبارات المركزية في كامب تشابمان في منطقة خوست بأفغانستان في الثلاثين من ديسمبر 2009. [66]

وأخيراً، أكد عدد من الخبراء أن ضربات الطائرات من دون طيار ليست فعالة فحسب، بل هي مطلوبة أخلاقياً؛ لأنها تسبب عدداً من الخسائر البشرية في المدنيين أقل من الضربات الجوية أو العمليات البرية في مناطق الصراع.[67] وبمقارنة الدقة النسبية لحرب الطائرات من دون طيار مع الهجمات العشوائية، مثل قصف دريسدن أثناء الحرب العالمية الثانية، خلص هنري كرمبتون Henry A. Crumpton، نائب رئيس وكالة الاستخبارات المركزية السابق لشؤون مكافحة الإرهاب، إلى أن الطائرات من دون طيار تعد شكلاً متفوقاً، بل إنسانياً، من أشكال الحرب.[68] وأدلى آخرون بحجة مضادة للواقع، مفادها أنه كان يمكن أن يموت عدد أكبر من القوات الأمريكية وقوات الحلفاء والمدنيين الأفغان، مع مرور الوقت، بسبب الهجمات المعادية وعمليات حلف شمال الأطلسي "الناتو" البرية والجوية العادية لولا إزالة كبار المقاتلين الذين قتلوا بواسطة ضربات الطائرات من دون

طيار من ميدان المعركة.[69] وقد أشار العديد من الخبراء إلى خسائر بشرية حقيقية أو خسائر تم منع حدوثها بإبعاد الإرهابيين المتشددين عن أرض المعركة، مؤكدين أن الطائرات من دون طيار تعد أكثر جاذبية، وقابلة للدفاع عنها أخلاقياً، من عمليات القصف الجوي أو العمليات العسكرية البرية.

في هذه النقطة يغدو التفريق بين ضربات الطائرات من دون طيار داخل مسرح القتال النشيط وخارجه وارداً. ويمكن منطقياً للمرء أن يجادل بأن ضربات الطائرات من دون طيار تعد خياراً أكثر إنسانية في حالة مسرح الحرب النشيطة، حيث يمكن أن تؤدي البدائل كالضربات الجوية أو العمليات البرية إلى قتل المزيد من المدنيين.[70] وفي هذا الخصوص، قد يكون برنامج الطائرات من دون طيار الذي تديره وزارة الدفاع الأمريكية في أفغانستان مبرراً أخلاقياً إن كانت البدائل – مثل الضربات الجوية الأمريكية أو العمليات البرية الأفغانية – أسوأ من حيث الخسائر بين صفوف غير المقاتلين. وهذه مسألة تجريبية في المقام الأول على الأقل. فإذا كان صحيحاً أن الطائرات من دون طيار تقتل عدداً من المدنيين الأفغان أقل مما تقتله ضربات الناتو الجوية، فسيكون من الصعب تأكيد تفضيل استخدام الضربات الجوية على الطائرات من دون طيار في مسارح الحرب النشيطة، علماً أنه تبقى ثمة أسئلة تتعلق بالإجراءات والمعايير الخاصة باختيار أهداف لتلك الضربات.[71] غير أن هذه المقارنة تنهار عندما يجري تطبيقها على برنامج الطائرات من دون طيار الذي تديره وكالة الاستخبارات المركزية، والذي ينشط في دول لا تخوض فيها الولايات المتحدة حرباً. في هذه الحالات، تعتبر المقارنة بقتال الحروب المعتاد خاطئة؛ فالبديل عن الطائرات من دون طيار في باكستان واليمن والصومال ودول أخرى لا يكون عمليات برية أو ضربات جوية تدار من قبل الأمريكيين. وليست الولايات المتحدة عادة في حالة حرب مع أي من هذه الدول، وهي قانوناً غير مخولة باستخدام القوات البرية أو الضربات الجوية في أراضي هذه الدول (علماً أن هذا لم يمنع الولايات المتحدة الأمريكية من شن ضربات جوية بشكل دوري في الماضي). وتراوح البدائل الواقعية للطائرات من دون طيار في هذه الحالات من الضغط الدبلوماسي إلى بناء القدرات بل إلى العمليات السرية، وكل هذه تم استخدامها بما حقق بعض المنافع قبل تصعيد إدارة أوباما ضربات الطائرات من دون طيار

عام 2009. في دول مثل باكستان واليمن والصومال، ينبغي قياس تحليل التكلفة–المنفعة للطائرات من دون طيار بالمقارنة مع هذه البدائل، وليس مع الخيارات التي لا تعد واقعية ولا يسمح بها قانوناً خارج مناطق الحرب. ففي هذه الحالات، من الأرجح أن تكون الطائرات من دون طيار غير موجودة، ومن الصعب – مثلاً – أن تكون ضربات الطائرات من دون طيار دائماً أكثر فاعلية، وأن تقتل عدداً من المدنيين أقل مما يُقتل في العمليات السرية المعدة بعناية ضد الأهداف المهمة. ومن الصعب التدليل على أن ضربات الطائرات من دون طيار تمثل استراتيجية دائمة أو طويلة الأجل في دول تعاني حاجة ماسة إلى بناء القدرات، لاسيما في أعمال الشرطة والاستخبارات. وتدعو الحاجة في مثل هذه الحالات إلى قياس تحليل التكلفة–المنفعة على أساس هذه البدائل الأقل عنفاً، وليس على أساس الأمثلة القصوى المأخوذة من أوقات الحرب، مثل عملية قصف دريسدن.

وكما أوضحت هذه المناقشة، ترتكز كل المزاعم الأكثر شيوعاً التي تؤيد فاعلية الطائرات من دون طيار على أدلة تجريبية غير ثابتة، وافتراضات مشكوك فيها، ومغالطات منطقية. وبعضها يجمع بين الحجج المتعلقة بالكفاءة – أي العلاقة النسبية بين المدخلات (مقيسة بالدولار أو المخاطر على العاملين الأمريكيين)، والمخرجات (مقيسة بالإرهابيين الذين يتم قتلهم) – والحجج المتعلقة بالفاعلية. ولا تكون الطائرات من دون طيار "فعالة" إلا إذا أسهمت في تحقيق الأهداف الاستراتيجية الأمريكية في منطقة من المناطق، وهي حقيقة غالباً ما تضيع في التحليلات التي لا تشير إلا إلى عمليات إحصاء الجثث كمقياس لجدارتها. وبصورة عامة، فإن من شأن الحجج المؤيدة للطائرات من دون طيار أن تعرض جانباً واحداً فحسب من السجل، حيث تقيس خسائر جماعات، مثل القاعدة وطالبان، من دون الأخذ في الاعتبار عدد المجندين الجدد الذين تستقطبهم هذه الجماعات نتيجة تصعيد ضربات الطائرات من دون طيار، في الوقت الذي تتغافل فيه عن أن الطائرات من دون طيار قد حلت محل خليج جوانتنامو بوصفها، في الدرجة الأولى، أداة للاستقطاب لدى القاعدة اليوم.[72] إن الحساب الرهيب الذي يتولى تقييم ضربات الطائرات من دون طيار، لاسيما عند الاقتصار في قياسها على جثث القتلى من الذين لهم علاقة بالحركات الإرهابية، يتجاهل التأثير الذي تتركه هذه الطائرات في ما يتعلق بالنظرة

إلى الولايات المتحدة الأمريكية في أوساط سكان هذه الدول. يمكن اعتبار حرب الطائرات من دون طيار "فعالة" فقط إذا نفذت عملياتها بفاعلية مخففة تركز على النجاحات التكتيكية قصيرة الأجل - أي القتلى من الإرهابيين الذين كانوا في يوم من الأيام يشكلون تهديداً للولايات المتحدة الأمريكية - في حين تتجاهل التكاليف الاستراتيجية طويلة الأجل، أو تقلل من شأنها.

التكاليف الاستراتيجية

تعتبر التكاليف الاستراتيجية التي تتكبدها الولايات المتحدة الأمريكية نتيجة الاعتماد الزائد على الطائرات من دون طيار كبيرة الحجم. والواقع أن الطائرات من دون طيار تعمل على تحقيق أغراض تتقاطع مع العديد من الأهداف الأمريكية في مجال مكافحة الإرهاب. وتحدد استراتيجية مكافحة الإرهاب الأمريكية الرسمية عدداً من الأهداف، منها تعطيل قدرات تنظيم القاعدة وهزيمته، بل والقضاء على الملاذات الآمنة أيضاً التي تؤوي الإرهابيين الفاعلين، وإقامة شراكات وتعزيز قدرات مكافحة الإرهاب مع الحكومات التي يعتبر التعاون معها حاسماً.[73] وتشمل هذه الاستراتيجية العمل على بناء الإرادة والعزيمة والقدرة لدى الدول التي تعارض القاعدة، بحيث تستطيع الولايات المتحدة «كسر دائرة إخفاق الدول في تقييد المجال أمام شبكات الإرهابيين».[74] وكجزء من استراتيجية إدارة أوباما، سوف تسعى الولايات المتحدة الأمريكية إلى "استغلال" قدرة الشركاء الأجانب على مجابهة التهديدات الإرهابية داخل حدودها، ومساعدتها في بناء قدرة دائمة على فعل ذلك بنفسها. وتفترض إدارة أوباما، شأنها في ذلك غالباً شأن إدارة بوش الابن، أن أغلب التهديدات الإرهابية مصدرها المناطق غير الخاضعة للحكومات في العالم. وتركز استراتيجيتها - أسوة بنهج بوش - على الحاجة إلى ضمان أن تتمتع دول مثل باكستان واليمن بقدرات أكبر على حراسة أراضيها لتجفيف مصادر الدعم للحركات الإرهابية على المدى البعيد. ولهذا السبب؛ يعتبر بناء قدرات دول مثل باكستان واليمن أمراً حاسماً، علاوة على أن حكوماتها المركزية بحاجة إلى أن ينظر إليها أغلبية الشعب على أنها تتمتع بالشرعية، وذلك من أجل الحد من تكلفة عملية الحراسة الشرطية هذه. أما على

المدى البعيد، فتعتمد استراتيجية إدارة أوباما على ضمان ألا يتعهد سكان مناطق مثل باكستان واليمن بتقديم الدعم إلى جهات أخرى مثل الجماعات المقاتلة أو الشبكات القبلية التي تبدي مزيداً من التعاطف مع القاعدة.

باكستان

إن تصعيد ضربات الطائرات من دون طيار إلى إيقاعها الحالي (أي ضربة كل بضعة أيام) يتناقض بشكل مباشر مع الهدف الاستراتيجي الأمريكي الطويل الأمد المتمثل في تعزيز قدرات الحكومة في إسلام آباد وشرعيتها. فهجمات هذه الطائرات هي أكثر من مجرد حوادث مؤقتة تجتث آثار العدو، بل تترك آثاراً سياسية دائمة يمكن أن تضعف الحكومات القائمة حالياً، وتنسف شرعيتها، وتضيف أعضاء جدداً إلى صفوف أعدائها. وتحدث هذه النتائج السياسية؛ لأن الطائرات من دون طيار تعطي رسالة قوية للشعب في دولة مستهدفة أن المسؤول عن هذا العمل يعتبر سيادة حكومته شبه معدومة.

إن إدراك الشعب أن حكومته عاجزة عن وقف هجمات الطائرات من دون طيار على أراضيها يمكن أن يؤدي إلى شلل النظام القائم، ويمكن أن يدفع منافسيها في الداخل إلى تحديها عن طريق العنف. كما أن مثل هذه الانتهاكات المستمرة لدولة ما لها عواقب مباشرة على شرعية حكومتها، ففي أعقاب اجتماع مع الجنرال ديفيد بتريوس، وصف الرئيس الباكستاني آصف علي زرداري التكاليف السياسية للطائرات من دون طيار باختصار بقوله «إن الهجمات المستمرة بالطائرات من دون طيار على بلدنا – التي ينتج عنها فقدان أرواح أو ممتلكات غالية – تعطي نتائج عكسية، ومن الصعب تفسيرها من قبل حكومة منتخبة ديمقراطياً. إنها تخلق فجوة في المصداقية».[75] كذلك قال المفوض السامي الباكستاني إلى لندن، واجد شمس الحسن، في أغسطس 2012:

> إن كل ما تمخضت عنه هذه الهجمات بالطائرات من دون طيار هو أنكم أسهمتم بشكل مباشر أو غير مباشر في زعزعة الحكومة الديمقراطية؛ لأن الشعب في الواقع يسخر من الحكومة الديمقراطية عندما تُصدر قراراً ضد هذه الهجمات في البرلمان دون أن يحدث شيء. فالأمريكيون لا يصغون إليك، بل هم مستمرون في انتهاك حرمة أراضيك.[76]

إن الظهور بمظهر العاجز في مواجهة الطائرات من دون طيار يؤدي إلى تآكل مظهر الكفاءة والشرعية للحكومة الباكستانية. وتبرز بشكل خاص خطورة التصور المتنامي بأن الحكومة المدنية الباكستانية عاجزة عن منع هجمات الطائرات من دون طيار عندما يصبح 87٪ من جميع الباكستانيين مستائين من إدارة البلاد، وتبقى المؤسسة العسكرية التي نفذت الانقلابات من قبل صاحبة قوة شعبية.[77]

إن الآثار السياسية لهذه الرسالة قوية ومستدامة حتى عندما تكون العلاقة بين من يقوم بهذه الضربات والدولة المستهدفة أكثر تعقيداً. على سبيل المثال، كانت الحكومة الباكستانية متناقضة بشأن الطائرات من دون طيار، تدينها في بعض الحالات، وتشيد بنتائجها في البعض الآخر.[78] لقد نتج الكثير عن المدى الذي وصلت إليه الحكومة الباكستانية في تقديم "موافقتها السرية" على الضربات بالطائرات من دون طيار الأمريكية على أراضيها.[79] لقد كانت الولايات المتحدة الأمريكية على استعداد لتقديم تفاصيل ضربات الطائرات من دون طيار بعد التنفيذ، غير أنها كانت تمتنع عن تقديم تحذير مسبق حول أي من الهجمات إلى الحكومة الباكستانية، خوفاً من احتمال تسريب المعلومات. كانت باكستان من الناحية العملياتية مذعنة للضربات بالطائرات من دون طيار، ولم تأمر قواتها الجوية بإسقاط هذه الطائرات في المجال الجوي الباكستاني. وعلى الرغم من النفي الرسمي، فقد اتضح أن الحكومة الباكستانية سمحت للولايات المتحدة بإطلاق الطائرات من دون طيار من واحدة على الأقل من قواعدها الجوية.[80] ومهما تكن درجة تعقيد موقفها ومصدر تناقضها حيال الضربات بهذه الطائرات، فإن الآثار السياسية الناجمة عن السماح لها بالتصعيد إلى المستويات الحالية واضحة على نحو متزايد. وقد سلط التوسع الهائل في حرب الطائرات من دون طيار في عهد إدارة أوباما ضغوطاً ضخمة على باكستان بسبب إذعانها ومسايرتها للولايات المتحدة الأمريكية، وضاعف عدد الخصوم الذين تواجههم حكومتها، وقوض أجزاء من النسيج الاجتماعي للبلاد. تعتبر باكستان، بمعظم المقاييس، أكثر انقساماً وزعزعة في استقرارها بعد قرار إدارة أوباما تصعيد إيقاع هجمات الطائرات من دون طيار ونطاقها عما كانت عليه في عهد إدارة بوش.[81]

أولاً، تتعرض الحكومة الباكستانية لضغوط شديدة من عداء شعبي متنام تجاه ضربات الطائرات من دون طيار؛ فسياسة استخدام هذه الطائرات تحمل معها أخطاراً حقيقية على النظام، وليس أقلها أنه يُنظر إليه على أنه متواطئ في سياسة يقصف فيها الأمريكيون أراضيه كل بضعة أيام. وقد كشف استطلاع للرأي أجراه مركز بيو للأبحاث Pew Research Center في يونيو 2012 عن أن 74٪ من الباكستانيين الآن يعتبرون الولايات المتحدة عدواً.[82] ولا يؤيد ضربات الطائرات من دون طيار ضد الجماعات المتشددة سوى 17٪ فحسب، حتى إن تم تنفيذها بدعم من الحكومة الباكستانية.[83] وهناك تداعيات جانبية لبرنامج الطائرات من دون طيار على مجالات أخرى للتعاون؛ إذ لايزال 50٪ فقط من المشاركين في الاستطلاع يرغبون في أن تواصل الولايات المتحدة تقديم المساعدات المالية والإنسانية إلى البلاد.[84] لقد حملت ضربات الطائرات من دون طيار معها تكاليف استراتيجية واضحة، حيث سببت سخطاً واسع النطاق داخل باكستان على الولايات المتحدة الأمريكية، وعرّضت للخطر الدعم للبرنامج الأمريكي الهادف إلى بناء قدرات الدولة في باكستان. ففي هذه البيئة القابلة للاشتعال، تحولت أحداث عالية المستوى – مثل: إطلاق سراح مقاول وكالة الاستخبارات المركزية ريموند دافيس Raymond Davis بعد قتله مواطنين باكستانيين رمياً بالرصاص، وقتل 24 جندياً باكستانياً في ضربات لحلف الناتو في نوفمبر 2011، والاحتجاجات على فيلم "براءة المسلمين" في سبتمبر 2012 – إلى موجات احتجاج ضد الأمريكيين. إن هذه الأحداث، والغضب الكامن الذي تطلقه، قد رفعت من التكلفة على الحكومة جرّاء إذعانها للمطالب الأمريكية لمواجهة نشاط المتشددين في المناطق الحدودية. وقد بلغت هذه المشاعر المعادية للولايات المتحدة ذروتها في المسيرة الاحتجاجية التي قادها عمران خان في أكتوبر 2012، حيث حاول آلاف المتظاهرين دخول جنوب وزيرستان احتجاجاً على ضربات الطائرات من دون طيار.[85] وقد استفاد خان من المشاعر المعادية للأمريكيين المتنامية والغضب من الطائرات من دون طيار ليغدو شخصية قيادية معارضة في الانتخابات التالية. وقد أسهمت تصرفاته – التي دفعت بالجدل حول الطائرات من دون طيار إلى الواجهة في السياسة الباكستانية – في زيادة الصعوبة على حكومة زرداري لدعم ضربات هذه الطائرات التي تشهر تواطؤها وعجزها.

عندما أحس عدد من الزعماء الباكستانيين الآخرين بالأخطار المترتبة على العلاقة الوثيقة مع الولايات المتحدة تحركوا لينأوا بأنفسهم إلى حد ما عن سياسة الطائرات من دون طيار؛ إذ إن الرئيس آصف زرداري – في الوقت الذي كان فيه سراً يدعم بعض هذه الضربات – طالب بوضع حد لها، علماً أن موقفه تقوّض عندما قام شركاؤه بالمطالبة بمزيد من السيطرة الباكستانية على أهداف الضربات.[86] وبالمثل كان رئيس الوزراء رضا جيلاني يوجه بانتظام نقداً لاذعاً للولايات المتحدة على استخدامها «غير القانوني والذي يعود بنتائج عكسية» للطائرات من دون طيار، وأكد أنه يمثل وقوداً لحركات التمرد ضد الحكومة المركزية.[87] وبعد مراجعة لعلاقة الدولة بالولايات المتحدة الأمريكية، دعا البرلمان الباكستاني إلى وضع حد لضربات الطائرات من دون طيار، ولأي عمليات أخرى على أراضيه.[88] وقد غدا الموقف السائد بصورة متزايدة لدى الطبقة السياسية الباكستانية بجميع أطيافها أن أخذت موقف الناقد لبرنامج الطائرات من دون طيار والتعبير عن العداء للولايات المتحدة. وحينما حدث ذلك، قدمت الولايات المتحدة إلى باكستان مزيداً من المساعدات؛ نحو 4.3 مليارات دولار أمريكي عام 2010 وحده، وهذا المبلغ يأتي في المرتبة الثانية فقط بعد المبلغ الذي تم تقديمه إلى أفغانستان ضمن مساعدات أخرى تم منحها على الصعيد العالمي، ويهدف ذلك في جانب منه إلى «بناء قدرتها على مواجهة التمرد»، في الوقت الذي يمثل فيه استمرار توجيه الضربات بالطائرات من دون طيار مؤشراً إلى عدم الثقة بقدرة الدولة وإرادتها للتصدي للإرهاب.[89] وفي ضوء ذلك، يمكن القول إن العلاقة الأمريكية الباكستانية ممتلئة بالنفاق: فالولايات المتحدة تهمش الحكومة الباكستانية بواسطة الطائرات من دون طيار، في حين "تبني قدراتها" بالمساعدات وعمليات نقل المعدات العسكرية، بينما تبتهج الحكومة الباكستانية سراً عندما تقتل ضربات الطائرات من دون طيار أعداءها، وتلفت الانتباه إلى موقفها ضد بقية الضربات، ثم تطلب المزيد من المساعدات التي يضيع معظمها بسبب الفساد أو تتحول إلى المشتريات العسكرية التبذيرية لردع الهند.[90] لم تؤد حصيلة سياسة محاربة الإرهاب باستخدام الطائرات من دون طيار إلا إلى مزيد من النفاق في هذه العلاقة المسمومة أصلاً، مع نتائج غير معروفة لمستقبل دولة مسلحة نووياً تفور وتغلي بمشاعر معادية للأمريكيين.

في الوقت نفسه، هناك ما يحفز بعض النقد الباكستاني لبرنامج الطائرات من دون طيار الذي يتجاوز مجرد الانتهازية الساخرة. فبعض الاعتراضات مبنية على منطق مكافحة التمرد، أي: تجفيف الدعم الموجه لمجموعة الحركات المتشددة في وزيرستان، وفي المناطق القبلية الخاضعة لإدارة الحكومة الاتحادية ومناطق أخرى، ويتعين على الحكومة الباكستانية أن تظهر بمظهر المنافس الموثوق فيه لولاءات السكان بالمناطق القبلية. صرح عبدالباسط، وهو ناطق باسم وزارة الخارجية الباكستانية، بأن الطائرات من دون طيار «غير مفيدة في جهودنا لكسب القلوب والعقول».[91] ويعتبر كسب ولاءات السكان صعباً بصورة خاصة عندما تسهم الطائرات من دون طيار في تهميش الحكومة المركزية، وتبعث برسالة مفادها أن الولايات المتحدة هي المقاتل المباشر في الحرب الدائرة بين حين وآخر في المناطق القبلية. في سبتمبر 2012، أحسنت وزيرة الخارجية الباكستانية حنا رباني خار وصف هذه المعضلة بقولها «يجب أن تكون هذه حربنا. نحن من يجب أن يقاتل ضدهم. حينما تطير طائرة من دون طيار فوق أراضي باكستان تغدو حرباً أمريكية مرة أخرى. وقد تمت تنحية كل هذا المنطق جانباً بأن هذه هي معركتنا وشأننا الخاص، وأصبحت حرباً مفروضة علينا».[92] لقد أسهم مدى تولي الولايات المتحدة الأمريكية دور المقاتل المباشر، وتهميشها الحكومة الباكستانية من خلال ضربات الطائرات من دون طيار، في نسف الدعوى بأن الحكومة المركزية في إسلام آباد يمكن أن تكون منافساً موثوقاً لولاءات السكان القبليين.

ثانياً، لقد أسهمت ضربات الطائرات من دون طيار في مضاعفة صفوف أعداء الحكومة الباكستانية، وتعميق إحساسها المتنامي بالأزمة. فباكستان لم تملك مطلقاً السيطرة التامة على جميع الأجزاء الشمالية من أراضيها، لاسيما في المناطق القبلية الخاضعة لإدارة الحكومة الاتحادية وولاية الحدود الشمالية الغربية. وتعتبر مشكلة شبكات المقاتلين الإسلاميين في هذه المناطق قديمة العهد، غير أن نطاق تهديدهم اتسع بشكل لافت للنظر عندما اندمج عدد من الجماعات المتنافسة تحت راية حركة طالبان باكستان عام 2007.[93] وفي هذه المرحلة، بدأت سياسة حكومة برويز مشرف للمصالحة مع مختلف الجماعات المقاتلة تعطي نتائج عكسية. فحينما حاولت القوات العسكرية استعادة السيطرة على هذه المناطق، رد المسلحون المتشددون بالقتال ووسعوا من سيطرتهم حتى شملت مناطق

حضرية لم تمس من قبل. وبحلول عام 2008، كانت حركة طالبان باكستان وجماعات أخرى تشن هجمات انتحارية في المدن، وتستولي على أراض في سوات وبونر، على بعد 70 ميلاً عن إسلام آباد.[94] وعلى الرغم من أن الجيش الباكستاني تمكن من وقف تقدمهم في الاستيلاء على الأراضي عام 2009، فإن معظم هذه الجماعات المقاتلة لم تندحر تماماً. وعلى الرغم من إضعاف كثير من هذه الشبكات الإسلامية، فقد ضاعفت جهودها لتحدي سلطة الحكومة المركزية، ولجأت لهذه الغاية على نحو متزايد إلى الإرهاب.[95] وعلى الرغم من أن مصادر التعبئة والاستقطاب للشبكات المقاتلة عديدة، فقد أسهمت الطائرات من دون طيار في تعزيز قدرتها على الاستقطاب؛ إذ شجعت المذابح أقرباء ضحايا الضربات وأصدقاءهم على الانضمام إلى صفوف حركة طالبان باكستان، وجماعات مقاتلة أخرى للقتال ضد الولايات المتحدة أو الحكومة الباكستانية، حيث اعتبرت هذه الأخيرة متواطئة في قتلهم.[96] وقد توجه غضبهم من ضربات الطائرات من دون طيار أولاً وقبل كل شيء نحو الحكومة الباكستانية، بدلاً من الولايات المتحدة الأمريكية أو مصالحها المباشرة في الخارج. وعلى الرغم من أن بعض المجندين انضموا إلى القاعدة، وحاولوا نقل المعركة إلى الولايات المتحدة، فإن أغلبية هؤلاء المجندين الجدد قد انضموا إلى شبكات مقاتلة محلية ستكون أهدافها الرئيسة داخل البلاد.[97] وتمثل شبكات المقاتلين الموجودة مسبقاً في هذه المناطق أوعية جاهزة لاستقبال الغاضبين الذين تطرفوا بعد ضربات الطائرات من دون طيار، ولعل أكبر خطر في هؤلاء المجندين الجدد ليس موجهاً ضد الولايات المتحدة الأمريكية، بل نحو حكومة البلد الذي تحدث فيه الضربات، حيث كانت صفوف الأعداء تزداد حجماً بعد هجمات هذه الطائرات. فقد ازداد عدد أفراد حركة طالبان أفغانستان إلى 35000 تقريباً من خلال المجموعات الموجودة الموالية لقيادتها ورفدها بمجندين جدد، كان الدافع لدى بعضهم (لكن ليس كلهم) السخط على تلك الضربات.[98]

اليمن

كررت ضربات الطائرات من دون طيار بعض الديناميات نفسها في اليمن، التي كانت واضحة في باكستان. فقد انجرفت الولايات المتحدة الأمريكية إلى دور محارب مباشر في الصراع الداخلي المتنامي في اليمن من خلال ضرباتها بالطائرات من دون طيار

ضد تنظيم القاعدة في شبه جزيرة العرب وشبكات إسلامية محلية أخرى. هذه هي الحرب التي لا تجرؤ على ذكر اسمها. لقد أصر مسؤولون أمريكيون كبار مراراً على أن الولايات المتحدة غير متورطة في محاربة تمرد في اليمن، وأنها لن تنجر إلى حرب أهلية هناك. ومضى الرئيس أوباما إلى حد أن يوجه اللوم إلى جنرال أمريكي في غرفة العمليات لمجرد ذكر كلمة "حملة" في اليمن.[99] ومع ذلك، فهناك أدلة كبرى على أن الولايات المتحدة قد استهدفت متمردين محليين لا اهتمام لديهم بمهاجمة أهداف أمريكية.[100] وبحلول 19 أكتوبر كانت الولايات المتحدة الأمريكية قد نفذت 35 ضربة بالطائرات من دون طيار في اليمن عام 2012 وحده.[101] ولم يعد العديد من هذه الضربات موجهاً ضد القاعدة في شبه جزيرة العرب، بل ضد الفصائل الإسلامية المحلية المعادية للحكومة. وهناك أدلة مهمة أيضاً على أن الولايات المتحدة قد وسعت من أهدافها لتشمل الناشطين المحليين المرتبطين بالقاعدة، ولكنهم لا يملكون القدرة أو الرغبة في توجيه ضربات إلى الولايات المتحدة الأمريكية.[102] وكما ذكر ميكا زنكو Micah Zenko: «فإنهم ما لم يكونوا على وشك الطيران إلى نيويورك لتنفيذ هجوم، فلا يشكلون تهديداً وشيكاً للولايات المتحدة الأمريكية... نحن لا نقول إننا القوة الجوية المكافحة للتمرد في باكستان واليمن والصومال، لكننا كذلك في الحقيقة».[103]

تتخذ الحكومة اليمنية، مثل الحكومة الباكستانية، موقفاً متناقضاً من الضربات، حيث تدينها في العلن، بينما تدعمها في السر ما دامت تقضي على أعدائها. ففي اجتماع مع الجنرال ديفيد بتريوس عام 2010، تعهد نائب رئيس الوزراء في ذلك الوقت رشاد العليمي «بأننا سنستمر في القول إن القنابل هي قنابلنا، وليست قنابلكم»، وقال مازحاً إنه سيكذب فقط على البرلمان بشأن التحكم الأمريكي في الضربات.[104] وقد تبنت الحكومة اليمنية مؤخراً برنامج الطائرات من دون طيار كعلاج للتصدي للقاعدة في شبه جزيرة العرب وحركات التمرد المحلية فيها، حتى إن الرئيس اليمني عبد ربه منصور هادي عرض دعماً شعبياً نادراً للطائرات من دون طيار في خطاب لقي اهتماماً واسعاً في مركز وودرو ويلسون، وذلك في سبتمبر 2012.[105] إن التصرفات المندفعة غير المتناسقة التي كانت تدفع سياسات الولايات المتحدة نحو باكستان ناشطة هنا أيضاً. وقد قدمت الولايات المتحدة الأمريكية مبلغ 326 مليون دولار أمريكي كمساعدات أمنية لليمن منذ عام 2007، وطورت على

نطاق واسع قدرات مكافحة الإرهاب لدى قواتها الخاصة، في الوقت الذي قامت فيه بتهميش الحكومة في ضرباتها الأحادية الجانب بالطائرات من دون طيار.[106] وبعبارة أخرى، تقوم الولايات المتحدة ببناء حكومة وتسهم في تهميشها بضربات الطائرات من دون طيار، وفي تعزيز قدراتها في الوقت الذي تقوض فيه شرعيتها.

وكما هو الأمر في باكستان فقد أدت "سياسة الطائرات من دون طيار أولاً" في اليمن إلى توسع صفوف أعداء الحكومة، فقد أسهمت ضربات هذه الطائرات ضد تنظيم القاعدة في شبه جزيرة العرب في تعزيز المشاعر المناهضة للأمريكيين بالمناطق القبلية في البلاد، وشجعت أصدقاء القتلى من المدنيين وأسرهم على الانضمام إلى القاعدة في المناطق القبلية أو شبكات أخرى للناشطين، فقد أسهمت هذه الضربات في تنمية "القبول النفسي" للقاعدة في شبه جزيرة العرب بين اليمنيين، ويعود ذلك في جانب منه إلى أنها تؤكد روايتها حول كون الولايات المتحدة الأمريكية متعطشة للدماء، وتقذف بالقنابل من بعيد دونما اهتمام بمن يقتل.[107] وقد أكد ناشط شاب يمني بارز، هو إبراهيم مثنى، أن «ضربات الطائرات من دون طيار تدفع مزيداً من اليمنيين إلى كراهية أمريكا، والانضمام إلى الناشطين المتشددين، فهم ليسوا مدفوعين بأيديولوجية؛ بل بشعور بالانتقام واليأس».[108] وكما أفاد ميكا زنكو في تقريره، فإن تنظيم القاعدة في شبه جزيرة العرب قد زاد عدد أعضائه من بضع مئات عام 2010 إلى "آلاف عدة" اليوم.[109] ومن المستحيل معرفة كم من هؤلاء المجندين قد انضموا إلى القاعدة نتيجة ضربات الطائرات من دون طيار أو بسبب عوامل أخرى، غير أن هذا الاتجاه يثير الاحتمال الداعي للقلق بأن يكسب تنظيم القاعدة مجندين عدة، مقابل كل قائد يتم قتله بسبب ضربات الطائرات من دون طيار.[110] وكما عبر أحد زعماء حقوق الإنسان المحليين، «فإن الطائرات من دون طيار تقتل قادة القاعدة، ولكنها تحولهم أيضاً إلى أبطال».[111] وهناك مستفيد آخر من هذه الضربات في اليمن هم أنصار الشريعة، وهي جماعة تنتمي إلى تنظيم القاعدة في شبه جزيرة العرب، وقد شنت تمرداً شرساً ضد الحكومة منذ بداية الربيع العربي.[112] وحينما ازداد اعتماد الحكومة اليمنية على الطائرات من دون طيار الأمريكية لتسيير دوريات في المناطق غير الخاضعة لحكمها، اقتحم أنصار الشريعة الفراغ الناشئ، وبدؤوا يقدمون خدمات اجتماعية بدلاً منها.

والخطر، كما عبر عنه الموظف السابق في وكالة الاستخبارات المركزية، روبرت جرينير Robert Grenier، هو أن الاعتماد المتزايد على ضربات الطائرات من دون طيار يمكن أن يوجد «ملاذاً آمناً أكبر للإرهابيين» في اليمن.[113]

الآثار الاجتماعية

لضربات الطائرات من دون طيار تأثير دقيق ومثير للاستياء في النسيج الاجتماعي للمجتمعات التي تقع فيها، فهذه الطائرات لا تؤثر في أهدافها فحسب، بل تنشر الفزع والارتياب في سائر أنحاء المجتمع بطرق غير متوقعة. وكما يذكر برايان جلين ويليامز Brian Glyn Williams فإن هذه الطائرات غالباً ما توصف من قبل القرويين المحليين في باكستان بأنها زنابير؛ لأنها تلسع، أو صواعق؛ لأنها تضرب دونما سابق إنذار.[114] وفي الوقت الذي تزرع هذه الطائرات الخوف في نفوس أهدافها المقصودين، فإنها أيضاً تشيع خوفاً مماثلاً في نفوس القرويين الأبرياء من كونهم في المكان والزمان الخاطئين عندما يقع الهجوم. إن الطائرات من دون طيار تبعث "موجة من الرعب" في نفوس السكان المدنيين وصفها بعض أخصائيي الصحة العقلية بأنها «قلق توقعي».[115] وصف ديفيد رود David Rohde، وهو صحفي أسرته واحتجزته طالبان، الخوف الذي ولدته ضربات الطائرات من دون طيار أثناء سماع دوي الطائرات فوق رؤوسهم لمدة ساعات في إحدى المرات، وكانوا يصفونها بأنها «قوية، ورمز مخيف للقوة الأمريكية التي لا رادع لها».[116] ومن شأن هذا الخوف أن يدفع بالمدنيين العاديين إلى الامتناع عن مساعدة الجرحى في غارات الطائرات من دون طيار في حال استهدافهم في ضربة "مزدوجة الأهداف". وقد أسهمت الطائرات من دون طيار في تثبيط النشاط الاقتصادي والاجتماعي الطبيعي، حتى إنها جعلت الآباء يمتنعون عن إرسال أبنائهم إلى المدارس التي يمكن أن يتم استهدافها بطريق الخطأ.[117] وقد أسهمت هذه الطائرات في انقلاب الجار على جاره، وإذكاء عدم الثقة في مجتمع تعتبر فيه الروابط الأسرية والعشائرية والمجتمعية حاسمة. وغالباً ما يتم تحديد أهداف غارات الطائرات من دون طيار بواسطة مخبرين مأجورين يضعون أجهزة استهداف إلكترونية صغيرة في بيوت الإرهابيين المشتبه فيهم أو سياراتهم.[118] ومع ذلك

فليس ثمة سبيل لمعرفة ما إذا تركت هذه الشرائح الإلكترونية مع ناشطين إرهابيين حقيقيين أم مع أشخاص يحمل المخبر ضغينة شخصية ضدهم. وقد ولدت الشائعات حول هذه الشرائح مستويات عالية من الشكوك في المجتمع؛ إذ «أصبح الجار يشك في أن جاره يتجسس للاستخبارات الأمريكية أو الباكستانية أو الطالبانية أو يستغل ضربات الطائرات من دون طيار لتصفية عداوات».[119] وعلى الرغم من أن الطائرات من دون طيار التي تحلق فوق رؤوسهم كانت تشيع الرعب بين صفوف السكان جميعاً وتفسد الحياة الطبيعية، فإن الشك والريبة الناجمين عن هذه الشرائح الإلكترونية ووسائل تحديد الأهداف الأخرى قد أسهما في تآكل الثقة التي تشكل الأساس لجانب كبير من الحياة الدينية والاقتصادية والسياسية في هذه المجتمعات.

لقد أدى استخدام الطائرات من دون طيار إلى سلسلة من النتائج السياسية من الدرجة الثانية، لابد من الموازنة بينها وبين الفوائد الناشئة عن قتل الناشطين الإرهابيين. فالطائرات من دون طيار يمكن أن تجعل الحكومات عرضة لضغوط سياسية هائلة تزيد من التكاليف المترتبة على الإذعان للطلبات الأمريكية. فقد تؤدي إلى مضاعفة صفوف الأعداء في عمليات التمرد، وتنسف النسيج الاجتماعي الذي يسمح للعديد من هذه المجتمعات بالأداء على خير وجه. وكثير من هذه العواقب تسقط منهجياً من حساب التحليلات حول الطائرات من دون طيار التي تركز حصرياً على عدد من يتم قتله من الإرهابيين نسبة إلى المدنيين. وبصورة عامة، فإن هذه التكاليف توضح تناقضاً أساسياً في السياسات الأمريكية؛ ففي حال تم وضع الالتزام بكسر شوكة الإرهابيين أو تدميرهم موضع التنفيذ من خلال ضربات الطائرات من دون طيار، فإنه سيضر بالشرعية والأهلية القانونية للحكومات التي تعتمد الولايات المتحدة الأمريكية عليها أكثر من غيرها في التعاون على مكافحة الإرهاب. إن الهدف البعيد الأمد – المتمثل في بناء حكومات قوية وشرعية تستطيع أن تحفظ الأمن في أراضيها وتعمل كشركاء يمكن الاعتماد عليهم مع الولايات المتحدة – قد تقوض بسبب "سياسة الطائرات من دون طيار أولاً" التي تهمش هذه الحكومات وتعاملها كأنها متواطئة ومذعنة للممارسة الوحشية للقوة الأمريكية.

السباق على الطائرات من دون طيار

ثمة نتيجة استراتيجية مهمة، ولكن تم إغفالها، لتبني إدارة أوباما الطائرات من دون طيار، وهي أنها أدت إلى سباق تسلح جديد وخطير بهذا النوع من التقنية. في الوقت الحاضر، يعتبر الاستخدام المميت للطائرات من دون طيار مقبولاً لدى صناع القرار الأمريكيين؛ لأنه ليست هناك دولة أخرى تملك القدرة على صنع طائرات من دون طيار متطورة للغاية بالمدى والمراقبة والقدرة على القتل التي تتصف بها الطائرات التي تصنعها الولايات المتحدة الأمريكية، لكن بقية العالم ليس متخلفاً كثيراً في هذا المجال. فقد حصلت 76 دولة على الأقل على تقنية الطائرات من دون طيار، بما فيها روسيا والصين وباكستان والهند.[120] وتفيد التقارير بأن الصين تملك على الأقل 25 منظومة طائرات من دون طيار منفصلة قيد التطوير في الوقت الحالي.[121] وفي الوقت الحاضر، يوجد 680 برنامجاً لصنع الطائرات من دون طيار في العالم، وهي زيادة تتجاوز الرقم 400 لعام 2005. [122] وقد بدأ العديد من الدول والكيانات من غير الدول المعادية للولايات المتحدة الأمريكية بممارسة تقنية الطائرات من دون طيار، فقد صنعت إيران طائرتها من دون طيار الخاصة بها، والمسماة "سفير الموت" البالغ مداها 600 ميل.[123]كما يُزعم أيضاً أن إيران زودت نظام الأسد في سوريا بتقنية الطائرات من دون طيار.[124] وقد أطلق حزب الله طائرة من دون طيار إيرانية الصنع إلى داخل الأراضي الإسرائيلية، حيث تم إسقاطها من قبل القوات الجوية الإسرائيلية في أكتوبر 2012. [125]

هناك بالفعل سباق تسلح عالمي على قدم وساق في تقنية الطائرات من دون طيار. ويفيد أحد التقديرات بأن من المرجح أن يزيد الإنفاق العالمي على الطائرات من دون طيار على 94 مليار دولار أمريكي بحلول عام 2021. [126] ويكمن أحد عوامل سهولة انتشار الطائرات من دون طيار (خصوصاً الأنواع غير القاتلة) في تكلفتها مقارنة ببقية المشتريات الأخرى. فأفضل الطائرات من دون طيار من طراز بريداتور Predator أو ريبر Reaper تكلف كل منها 10.5 ملايين دولار تقريباً مقارنة بسعر 150 مليون دولار لمقاتلة نفاثة واحدة من طراز F-22. [127] وتعتبر تقنية الطائرات من دون طيار بهذا السعر بالفعل في متناول معظم المؤسسات العسكرية المتطورة، التي سيسعى كثير منها لشرائها من الولايات

المتحدة الأمريكية أو جهة أخرى موردة لها. ومع تزايد الطلب، بدأ عدد من الدول، منها الصين وإسرائيل، البيع النشيط لهذه الطائرات، بما فيها الأنواع الهجومية، وقد تدخل روسيا هذه السوق.[128] وبالنظر إلى المخاوف من أن تضر القيود على التصدير الميزة التنافسية للولايات المتحدة في سوق هذه الطائرات، فقد منحت وزارة الدفاع الأمريكية موافقتها على صادرات هذه الطائرات إلى 66 حكومة، وهي تتعرض للضغط حالياً لكي تصرح بالمبيعات إلى دول أخرى.[129] وقد صرحت إدارة أوباما بالفعل ببيع الطائرات من دون طيار إلى المملكة المتحدة وإيطاليا، ولكن تم رفض بيع تقنية هذه الطائرات إلى باكستان ودولة الإمارات العربية المتحدة والمملكة العربية السعودية، وذلك بموجب قيود من الكونجرس.[130] وما الأمر إلا مسألة وقت ليتقدم مورّد آخر، ويعرض تقنية الطائرات من دون طيار على الدول التي منع البيع لها بموجب ضوابط التصدير التي تمنعها من شراء الطائرات الأمريكية من دون طيار. وتشير دراسة صادرة عن مجموعة أبحاث تيل جروب Teal Group إلى أن الولايات المتحدة ستسهم بنسبة 62٪ من الإنفاق على الأبحاث والتنمية، و55٪ من الإنفاق على مشتريات الطائرات من دون طيار بحلول عام 2022.[131] وسوف يؤدي اتساع السوق بالمشترين والبائعين الجدد إلى الحد من قدرة الولايات المتحدة على التحكم في مبيعات الطائرات من دون طيار. ومن المرجح أن تحتفظ الولايات المتحدة بميزة نوعية كبرى في مجال تقنية الطائرات من دون طيار لبعض الوقت، ولكن حتى هذه الميزة ستتلاشى؛ لأن هناك مزيداً من الموردين الذين يستطيعون مضاهاة القدرات الأمريكية.

إن بروز هذا السباق في التسلح بالطائرات من دون طيار يقود على الأقل إلى خمس نتائج استراتيجية طويلة الأمد، وليست جميعها محببة لدى الولايات المتحدة على المدى البعيد. أولاً، من الواضح الآن أن دولاً أخرى ستستخدم الطائرات من دون طيار بطرق لا تنسجم مع المصالح الأمريكية. ويتمثل أحد أسباب حرص الولايات المتحدة على استخدام هذه الطائرات في باكستان في أنها تحتفظ في الوقت الحاضر بميزة كبرى في مجال الطائرات الهجومية من دون طيار العالية الجودة. ويعتبر عدد كبير من الدول الأخرى القادرة حالياً على استخدام الطائرات من دون طيار بتقنيات شبه مكافئة، مثل المملكة المتحدة وإسرائيل، حلفاء للولايات المتحدة الأمريكية، غير أن هذا الوضع في طريقه إلى

التغير سريعاً؛ لأن لاعبين جيوسياسيين، مثل روسيا والصين، بدؤوا بتطوير هذه التقنية بسرعة، وينشرون طائرات من دون طيار لأغراضهم الخاصة. وعلى الرغم من أن روسيا لاتزال متخلفة عن الولايات المتحدة في مجال التقنية، فقد أنفقت روسيا مبالغ ضخمة على شراء طائرات من دون طيار، وسعت مؤخراً إلى شراء طائرة إيتان الإسرائيلية الصنع من دون طيار القادرة على المراقبة وإطلاق صواريخ جو-أرض.[132] كما بدأت الصين تطوير طائرات من دون طيار لأغراض الاستطلاع والقتال، ولديها قيد التطوير طائرات جديدة عدة قادرة على المراقبة بعيدة المدى وعلى الهجوم.[133] كما تخطط الصين أيضاً لاستخدام طائرات استطلاعية من دون طيار تسمح لها بمراقبة الجزر المتنازع عليها في بحر الصين الشرقي، التي يوجد نزاع بينها وبين اليابان وتايوان حولها.[134] وسوف تسعى روسيا والصين، على حد سواء، إلى امتلاك هذه التقنية وتطوير جهات تصدير لهذه الطائرات بحيث تقوم ببيعها إلى صاحب أعلى العروض، وربما بقيود أقل على الصادرات من تلك التي يفرضها الكونجرس الأمريكي. وبعد أن تحوز الحكومتان مستويات مكافئة أو شبه مكافئة من تقنية الطائرات من دون طيار، فسوف يغريهما ذلك بالمثل باستخدامها في المراقبة أو الهجوم بالطريقة التي استخدمتها بها الولايات المتحدة الأمريكية. وهكذا نجد أن الولايات المتحدة قد تسهم - من خلال اعتمادها المفرط على الطائرات من دون طيار في أماكن مثل باكستان واليمن - في الإسراع بحلول عالم تغيب فيه المزايا النوعية في تقنية الطائرات من دون طيار، ويتم استخدام هذه التقنية وبيعها من قبل قوى كبرى منافسة لا تعكس مصالحها مصالح الولايات المتحدة.

ثمة نتيجة ثانية لانتشار الطائرات من دون طيار، وهي أن تقنية الطائرات من دون طيار قد أعادت بشكل جذري صوغ كثير من المفاهيم التقليدية التي تشكل أساساً لاستقرار النظام الدولي. على سبيل المثال، نجد أن جانباً كبيراً من الاستقرار بين القوى الكبرى في النظام الدولي يعتمد على الردع، خصوصاً الردع النووي.[135] وينجح الردع مع القواعد غير الرسمية للعبة، والصفقات السرية التي تحكم ما يمكن وما لا يمكن أن تفعله الدول التي تملك أسلحة نووية بعضها لبعض.[136] فعلى الرغم من أن هناك فهماً، على نطاق واسع، بأن الدول التي تمتلك قدرات نووية ستقوم بمراقبة جوية وبالتجسس بعضها على البعض الآخر، فإن المواجهات العسكرية العلنية بين القوى النووية نادرة؛ لأن المفترض

أنها باهظة التكلفة وقابلة للتصعيد. يدور أحد الأسئلة المفتوحة حول ما إذا كانت هذه الدول ستمارس المستوى نفسه من ضبط النفس مع المراقبة بالطائرات من دون طيار التي تعتبر منخفضة التكلفة ويمكن إنكارها. قد تكون الدول أكثر استعداداً للانخراط في عمليات اختراق الأجواء بهذه الطائرات التي تختبر حزم منافسيها، أو الانخراط في "تكتيك التدرج" لترى ما هو نوع الاختراق باستخدام الطائرات من دون طيار، إن وجد، الذي سيحفز رد الفعل.[137] قد يكون هذا هو منطق حزب الله في إرسال طائرة من دون طيار إلى داخل المجال الجوي الإسرائيلي في أكتوبر 2012، ربما لنقل معلومات عن قدرات إسرائيل النووية.[138] وبعد الاختراق، تباهى حزب الله وإيران، على حد سواء، بأن حادث الطائرة من دون طيار أثبت قدراتهم العسكرية.[139] بإمكان المرء أن يتصور دولتين متنافستين، مثلاً، الهند وباكستان، تنشران طائرات من دون طيار لاختبار كل طرف منهما قدرة الطرف الآخر وعزيمته، مع احتمال عواقب غير معروفة إن أساء الطرف الآخر تفسير مثل هذا الاختراق على أنه هجوم. حينما تصبح الطائرات من دون طيار أصغر حجماً وأكثر دقة، ويزداد مدى طيرانها، فقد يصبح الإغراء باستخدامها في التجسس على البرنامج النووي أو المنشآت العسكرية لأحد المنافسين أقوى من أن يقاوَم. وإذا ما حدث ذلك، فقد تقضي الطائرات من دون طيار تدريجياً على علاقات الردع الموجودة بين القوى النووية، الأمر الذي يفاقم من مخاطر تصاعد الصراع بينها.

ثمة بعد آخر لهذه المشكلة يتعلق بخطر الحوادث؛ فالطائرات من دون طيار عرضة للحوادث والتحطم. وبحلول يوليو 2010، أحصت الولايات المتحدة ما يقارب 79 حادث طائرة من دون طيار.[140] وقد كشفت وثائق تم الإفراج عنها مؤخراً عن وقوع عدد من حوادث وحالات تحطم طائرات من دون طيار في سيشل وجيبوتي، حدث بعضها على مقربة من مطارات مدنية.[141] وسوف ينطوي الانتشار السريع للطائرات من دون طيار على خطر وقوع حوادث لطائرات مدنية، ما يمكن أن يسبب حدثاً دولياً إن شمل مثل هذا الحادث طائرة تنتمي لدولة معادية للجهة المالكة للطائرة من دون طيار. قد تكون معظم حوادث الطائرات من دون طيار خالية من وقوع أضرار، غير أن بعضها ينطوي على مخاطر استراتيجية. ففي ديسمبر 2011، تحطمت طائرة من دون طيار تابعة لوكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية، مصممة لمراقبة النشاطات النووية في إيران، ما كشف وجود برنامج

تجسسي وترك تقنية حساسة في أيدي الحكومة الإيرانية.[142] إن توسع تقنية الطائرات من دون طيار يثير إمكانية أن يتم تفسير بعض هذه الطائرات الاستطلاعية على أنها طائرات هجومية، أو أن يؤدي حادث تحطم إلى التصعيد والخروج عن السيطرة، ويقود بالتالي إلى مواجهة مسلحة.[143] بل إن وقوع حادث من شأنه أن يكون أكثر خطورة إن تابعت الولايات المتحدة خططها لصنع طائرات من دون طيار تدار بالطاقة النووية، الأمر الذي يمكن أن يسبب انتشار المواد المشعة وتكون بمنزلة قنبلة قذرة لو تحطمت.[144]

ثالثاً، إن الطائرات من دون طيار القاتلة تؤدي إلى إمكانية تآكل معايير استخدام القوة، ما يخلق عالماً أشد خطورة، ويعود بالنظام الدولي إلى حكم شريعة الغاب. وقد بشرت الولايات المتحدة بهذا العالم بالفعل إلى درجة ما، وأحدثت بذلك سابقة خطيرة مفادها أن بإمكان أي دولة ببساطة قتل مواطنين أجانب ينظر إليهم على أنهم يشكلون خطراً من دون إعلان حرب. وحتى جون برينان اعترف بأن الولايات المتحدة «تقيم سابقة يمكن أن تتبعها بقية الدول».[145] وبالنظر إلى هذه السابقة، فليس ثمة ما يمنع دولاً أخرى من اتباع المثال الأمريكي واستخدام الطائرات من دون طيار للقضاء على التهديدات المحتملة. وليس من الضروري أن تكون هذه التهديدات إرهابية، بل يمكن أن تكون غير ذلك – منشقين أو جواسيس أو حتى صحفيين – ممن يمثل سلوكهم تهديداً لإحدى الحكومات. ويكمن أحد الأخطار في أن استخدام الطائرات من دون طيار يمكن أن ينسف حظر المعايير المفروضة على اغتيال القادة والمسؤولين الحكوميين، والذي يحظى حالياً باحترام معظم (إن لم يكن جميع) الحكومات. لكنّ ثمة خطراً أكبر؛ وهو أن الولايات المتحدة ستجعل القتل كأداة طبيعية للطائرات، وتوجد عالماً تستطيع فيه الدول على نحو متصاعد الانتقام من أشخاص خارج حدودها من دون مجاملات تسليم المطلوبين أو إجراءات واجبة أو محاكمة.[146] وكما ذكر أحد النقاد، لعل أوباما أسهم في إيجاد عالم تستسهل فيه الدول قتل الإرهابيين بدلاً من القبض عليهم والتعامل معهم بكل ما يرافق إعطاءهم محاكمة عادلة من صعوبات قانونية أو متعلقة بالبينات والأدلة.[147]

رابعاً، ثمة خطر واضح يتمثل في انقسام العالم إلى معسكرين: دول متقدمة تملك تقنية الطائرات من دون طيار ودول ضعيفة وحركات متمردة لا تملكها. قد تبدأ الدول التي

تعاني مشكلات انفصالية أو تمردية بحراسة لمناطقها المضطربة بواسطة ضربات الطائرات من دون طيار، لاحتواء المشكلة بشكل أساسي في منطقة جغرافية ثابتة والانخراط في سياسة عقابية على نطاق واسع ضدها. يمكن للمرء أن يتخيل بسهولة أن الصين، مثلاً، يمكن أن تلجأ إلى ضربات الطائرات من دون طيار في مناطق الإيغور لكي تحول دون نشوء أخطار محتملة، أو أن تلجأ روسيا إلى استخدام هذه الطائرات لضرب الحركات الانفصالية في الشيشان أو مناطق أخرى. ولن يقتصر هذا السلوك بالضرورة على الحكومات الشمولية، فمن الممكن كذلك أن تستخدم إسرائيل الطائرات من دون طيار للقيام بمهمات أمنية في غزة والضفة الغربية، بهدف التخفيف من انكشاف الجنود الإسرائيليين للهجمات الفلسطينية على الأرض. وقد اتضح المدى الذي يمكن لإسرائيل أن تذهب إليه في استعدادها لاستخدام الطائرات من دون طيار في القتال والمراقبة من خلال هجومها على غزة في نوفمبر 2012. ويقال إن إسرائيل استخدمت طائرة من دون طيار في اغتيال قائد من "حماس" هو أحمد الجعبري، واستخدمت عدداً من الطائرات من دون طيار المسلحة لتنفيذ ضربات بطريقة وصفها مسؤولون إسرائيليون كبار بأنها "غير مسبوقة".[148] وليس من الصعب تصور أن إسرائيل استنتجت أن الطائرات من دون طيار فوق غزة كانت أفضل طريقة للتعامل مع مشكلة "حماس"، حتى إن عرَّض استخدامهم إياها الشعب الفلسطيني لمراقبة دائمة ومثيرة للقلق. من الصعب تقييم جميع نتائج هذا الانقسام الحاد بين من يملك ومن لا يملك تقنية الطائرات من دون طيار، ولكن ثمة إمكانية تتمثل في أن الحكومات التي تعاني وجود حركات انفصالية يمكن أن تفاوض وتمنح امتيازات إن سمحت لها الطائرات من دون طيار بمراقبة أمنية لخصومها الداخليين بكفاءة دون رحمة، و"إدارة" المشكلة بتكلفة منخفضة. وقد تكون النتيجة وضعاً يتم فيه احتواء هذه الصراعات دون أن يتم حلها، بينما تزداد لا مبالاة مواطني الدول المتقدمة لمعاناة الذين لديهم مطالب انفصالية أو تحررية قومية، بما فيها المطالب العادلة.

أخيراً، تتميز الطائرات من دون طيار بالقدرة على تعزيز القدرة على مراقبة الأنظمة الديمقراطية والشمولية على حد سواء، مع عواقب ملحوظة على الحريات المدنية. ففي المملكة المتحدة تقوم شركة بي إيه سيستمز BAE Systems بتكييف الطائرات من دون

طيار ذات التصميم العسكري لمجموعة من المهمات الشُّرَطية المدنية، بما في ذلك «مراقبة السائقين المعادين لمصلحة المجتمع والمتظاهرين واللصوص الزراعيين والملقين للنفايات بشكل عشوائي».[149] والمتصور أن هذه الطائرات تقوم أيضاً بمراقبة شواطئ بريطانيا لمراقبة الهجرة غير الشرعية وتهريب المخدرات. وقد أصدرت إدارة الطيران المدني في الولايات المتحدة 61 ترخيصاً – بصورة رئيسة للشرطة المحلية وفي الولايات، ولكن أيضاً للوكالات الفدرالية وحتى الجامعات – لاستخدام الطائرات من دون طيار داخل الولايات المتحدة، وذلك بين نوفمبر 2006 ويونيو 2011.[150] وتفيد تقديرات إدارة الطيران المدني أن الولايات المتحدة الأمريكية سيصبح لديها 30000 طائرة من دون طيار تجوب الأجواء في دوريات، وذلك بحلول عام 2022.[151] بالمقابل، سوف تنفق المفوضية الأوروبية مبلغ 260 مليون دولار أمريكي على برنامج يوروسور Eurosur، وهو برنامج جديد سيستخدم الطائرات من دون طيار للقيام بدوريات فوق سواحل البحر الأبيض المتوسط.[152] لقد أصبح خطر إسهام الطائرات من دون طيار في تحويل الديمقراطيات إلى "دول مراقبة" أمراً معروفاً تماماً، غير أن أخطار الأنظمة الشمولية قد تكون أشد. قد تحصل الدول ذات الأنظمة الشمولية – لاسيما تلك التي تواجه معارضة داخلية قوية – على تقنية الطائرات من دون طيار المتاحة الآن لمراقبة خصومها ومعاقبتهم بلا رحمة. في روسيا شبه الشمولية، مثلاً، تم استخدام الطائرات من دون طيار بالفعل لمراقبة المتظاهرين المطالبين بالديمقراطية.[153] وبإمكان المرء أن يتخيل فقط ما سيفعله نظام شمولي سفاح مثل نظام بشار الأسد في سوريا بأسطوله من الطائرات من دون طيار. وقد يسهم التوسع في تقنية الطائرات من دون طيار في جعل القوي أقوى، وبذلك تميل كفة ميزان القوى في الأنظمة الشمولية بشكل أكثر حسماً لمصلحة الذين يسيطرون على أدوات القوة القمعية، وضد الذين يجرؤون على تحديهم.

خاتمة

على الرغم من مواجهة الولايات المتحدة الأمريكية نكسة من الطائرات من دون طيار في عملية تفجير تايمز سكوير الفاشلة، فقد تعين عليها الانخراط في تحليل جاد للتكاليف والعواقب الاستراتيجية لاستخدامها تلك الطائرات؛ من أجل أمنها وأمن بقية

دول العالم على حد سواء. وقد ركز معظم الجدل الدائر حول الطائرات من دون طيار، حتى الآن، على قياس عدد الأرواح، وينطوي على الافتراض غير المعلن بأنه إذا كانت ضربات هذه الطائرات تتصف بالكفاءة – أي بانخفاض التكلفة وقلة المخاطر على الجنود الأمريكيين مقارنة بالإرهابيين المقتولين – فلابد أنها تتصف بالفاعلية أيضاً. وقد سعت هذه الدراسة للتدليل على أن مثل هذه التحليلات التي تعمل على التخفيف من الفاعلية تحذف بعضاً من الديناميات الرئيسية الأخرى التي تكشف عن تكاليف حرب الطائرات من دون طيار؛ مثل تآكل الكفاءة والشرعية المفترضتين للحكومات التي يتم في بلدانها تنفيذ ضربات الطائرات من دون طيار، والعداء المتنامي للأمريكيين، والاستقطاب الجديد لشبكات المقاتلين المتشددين. وبعبارة أخرى، فإن تحليل فاعلية الطائرات من دون طيار لا يأخذ في الاعتبار سوى جانب "الخسائر" لدى "الأشرار" من دون السؤال عما يكسبه أعداء أمريكا بإخضاعهم لسياسة المراقبة والهجوم الدائمين.

أتيحت للرئيس أوباما في فترة ولايته الثانية فرصة لقلب الاتجاه وإحلال سياسة جديدة للطائرات من دون طيار تخفف من هذه التكاليف، وتتفادى بعض العواقب الطويلة الأمد الناجمة عنها. إن من شأن نهج أمريكي معقول أن يفرض بعض القيود على استخدام الطائرات من دون طيار من أجل الحد من التكاليف السياسية والعواقب الاستراتيجية الطويلة الأمد. ويمكن لخطوة واحدة أن تقيد استخدام هذه الطائرات لضرب الأهداف العالية القيمة، مثل الشخصيات القيادية السياسية والعملياتية في الشبكات الإرهابية، مع تقليل أو إلغاء الضربات ضد "الجنود المشاة" أو شبكات الإسلاميين الأخرى المرتبطة بالقاعدة. إن من شأن هذا النهج أن يقلل من عدد الضربات والخسائر في أرواح المدنيين الناجمة عن استخدام هذه الطائرات، مع الاحتفاظ باستخدامها ضد أهداف تشكل تهديداً مباشراً أو وشيكاً لأمن الولايات المتحدة الأمريكية.

ومن شأن مثل هذا النهج المقيِّد ذاتياً للطائرات من دون طيار أن يحد من مستوى المعارضة السياسية الذي تسببه ضربات الطائرات من دون طيار الأمريكية في دول مثل باكستان واليمن؛ لأن قادتها، وحتى السكان المدنيين فيها، كثيراً ما يتسامحون مع، أو حتى يوافقون على، الضربات ضد الأهداف العالية القيمة. وثمة خطوة أخرى يمكن أن تسهم

في تحسين مستويات شفافية برنامج الطائرات من دون طيار. في الوقت الحاضر لا توجد خطوط إرشادية واضحة تحدد من يمكن أو لا يمكن قتله بالطائرات من دون طيار، كما لم يتم الكشف عن أي بيانات لعامة الناس حول ضربات الطائرات من دون طيار.[154] وحتى مذكرة وزارة العدل التي خولت إدارة أوباما بقتل أنور العولقي، وهو مواطن أمريكي، لاتزال سرية.[155] ومثل هذا الغياب للشفافية يسهم في إذكاء الشكوك بأن الولايات المتحدة الأمريكية لا تبالي بالخسائر في أرواح المدنيين الناجمة عن ضربات الطائرات من دون طيار، وهو إدراك يفاقم من العواقب السياسية السلبية للضربات. إن السماح بإلقاء بعض الضوء على برنامج الطائرات من دون طيار لن يزيل كل معارضة له، بل سيسهم إلى حد ما في التقليل من أسوأ نظريات المؤامرة حول استخدام الطائرات من دون طيار في تلك الدول، وفي الوقت نفسه يعطي رسالة بأن الحكومة الأمريكية تعتبر نفسها مسؤولة قانونياً وأخلاقياً عن تصرفاتها.[156]

وثمة خطوة أخيرة وحاسمة نحو تخفيف العواقب الاستراتيجية للطائرات من دون طيار، وهي تطوير مقاييس ومعايير معترف بها دولياً لاستخدامها وبيعها. ومن غير الواقعي الإيحاء بأن الولايات المتحدة الأمريكية توقف استخدام طائراتها من دون طيار تماماً، أو الافتراض بأن دولاً أخرى ستقبل وقفاً لشراء الطائرات من دون طيار واستخدامها. لقد خرج العفريت من قمقمه؛ إذ ستكون الطائرات من دون طيار حقيقة من حقائق الحياة لأعوام قادمة. وما يتبقى فعله هو ضمان تنظيم استخدامها وانسجامها مع حقوق الإنسان المعترف بها دولياً. وقد بدأت إدارة أوباما بالفعل تبدي بعض الوعي بأن الطائرات من دون طيار خطيرة إن وضعت في الأيدي الخطأ. وقد كشف تقرير حديث في صحيفة **نيويورك تايمز** عن أن إدارة أوباما بدأت في وضع كتاب سري للتعليمات الخاصة بالطائرات من دون طيار للتحكم باستخدامها في حال انتخاب ميت رومني رئيساً.[157] وينشط المنطق نفسه على المستوى الدولي، حيث ستكون الطائرات من دون طيار القاتلة في نهاية المطاف في أيدي الذين سيستخدمونها بوازع أضعف من ذلك الموجود لدى الرئيس أوباما. وإذا لم تتوافر مجموعة من المقاييس أو المعايير المعترف بها دولياً تحكم بيع هذه الطائرات واستخدامها، فسوف تنتشر وتخرج عن السيطرة، ويساء استخدامها من قبل

الحكومات والجهات الفاعلة غير الحكومية، وتصبح أداة للقمع بيد الأقوياء. ومن الممكن أن يكون هناك حل يتمثل في عقد اتفاق دولي حول بيع الطائرات من دون طيار واستخدامها، يمكن أن يرسي أسس خطوط عامة ومعايير لاستخدامها، ربما على نسق معاهدة اتفاق حظر أو تقييد استعمال أسلحة تقليدية معينة، مثل تلك التي سعت إلى إيضاح قواعد استخدام القنابل الحارقة والأسلحة ذات الشظايا.[158] وعلى الرغم من أن سَنّ هذه القواعد العامة والالتزام بالقوانين واستخدامها سيكون ناقصاً ومصحوباً بالمخالفات والاستثناءات والخروقات، فإن وجود اتفاقٍ يمكن أن يعزز المعايير المضادة لإساءة استخدام الطائرات من دون طيار على نحو سافر، ويحث على مزيد من ضبط النفس في استخدامها أكثر مما هو سائد في حال عدم وجود مثل هذا الاتفاق. وبالمثل، فإن وجود هيئة تحقيق تابعة للأمم المتحدة حول الطائرات من دون طيار من شأنه أن يساعد على جعل الدول مسؤولة عن استخدامها للطائرات من دون طيار، والبدء في بناء إجماع تدريجي على أنواع النشاطات التي يمكن، أو لا يمكن، استخدام الطائرات فيها.[159] وبوصف الولايات المتحدة الأمريكية رائدة ومستخدمة رئيسة لتقنية الطائرات من دون طيار، فإن لديها الآن فرصة لإظهار القيادة بتطوير هيكلية قانونية دولية يمكن أن تحول دون حدوث بعض أسوأ العواقب لاستخدامها.

إن أخفقت الولايات المتحدة الأمريكية في اتخاذ هذه الخطوات، فستكون لمتابعتها لتقنية الطائرات من دون طيار دون رادع عواقب خطيرة على صورتها ومركزها العالميين. إن جانباً كبيراً من السياسة الأمريكية لمكافحة الإرهاب يقوم على افتراض مقولة إن ما يعزز "القاعدة" لابد من تحديه، والقضاء عليه في نهاية المطاف، إن كان في الإمكان إنهاء التهديد الإرهابي على المدى البعيد. إن استخدام الطائرات من دون طيار لا يقضي على هذه المقولة، بل يثبتها. ومن المفارقات أن صورة الولايات المتحدة الأمريكية لدى "القاعدة"، بأنها عدو لدود ويمطر المسلمين الأبرياء بالقنابل والموت من دون أدنى تفكير، قد تعززت، دونما قصد، بسبب سياسة الطائرات من دون طيار، التي لا تتجشم عناء السؤال عن أسماء ضحاياها. وحتى العداء العفوي للأمريكيين السائد في أجزاء كثيرة من أوروبا والشرق الأوسط وآسيا، الذي يصور في معظمه الولايات المتحدة بأنها تتصف بالقسوة

والهيمنة واللامبالاة بمعاناة الآخرين، فقد تعزز بواسطة سياسة الطائرات من دون طيار التي تنطوي على قتل المواطنين الأجانب على أساس شبه يومي. ولابد من الاختيار؛ فالولايات المتحدة لا يمكنها الاعتماد على الطائرات من دون طيار كما تفعل الآن وهي تسعى إلى إقناع الآخرين بأن تلك الأوصاف التي تطلق عليها ما هي إلا صور مشوهة ومبالغ فيها. ومع مرور الوقت، فإن الاعتماد المفرط على الطائرات من دون طيار سيؤدي إلى تعميق مكامن المشاعر المعادية للولايات المتحدة، ويمنح الجرأة لأعداء أمريكا، ويزود الحكومات الأخرى بأساس منطقي شعبي مقنع لمقاومة النظام الدولي الذي تتولى الولايات المتحدة قيادته، ويتأكد ذلك بفعل الضربات المفاجئة والمباغتة من الجو. ويعتبر منع هذه العواقب بالنسبة إلى الولايات المتحدة مسألة ذات أهمية ملحة في عالم فيه قوى صاعدة واصطفافات جيوسياسية متغيرة. ومهما تكن مبررات استخدام الولايات المتحدة للطائرات من دون طيار بوصفها استثنائية، فإنها بذلك تسن سوابق للآخرين في النظام الدولي – أصدقاء وأعداء، وفاعلين من الدول ومن دون الدول – ممن قد يختارون استخدامها. إن عالماً تهيمن عليه الطائرات من دون طيار – بعيداً عن كونه عالماً يستخدم فيه العنف بعناية وتمييز – قد يكون عالماً ترخص فيه حياة الإنسان، ما دام يتم بسهولة ولا مبالاة محوها من الوجود بكبسة زر. وسواء كان هذا عالماً تريد الولايات المتحدة إيجاده أو حتى العيش فيه، فهو قضية تتطلب انتباهاً من أولئك الذين يجدون من السهل التقليل من أهمية فقدان الحياة الذي تسببه الطائرات من دون طيار للآخرين في أيامنا هذه.

الهوامش

1. انظر:

Scott Shifrel, Alison Gendar and Jose Martinez, 'Remorseless Times Square car bomber Faisal Shahzad warns "We will be attacking the US"', New York Daily News, 22 June 2010, http://articles.nydailynews.com/2010-06-22/news/27067807_1_drone-strikes-muslim-soldier-bomb, accessed 16 Dec. 2012.

2. انظر:

Chris Dolmetsch, 'Times Square bomber vows revenge in Al-Arabiya video', Washington Post, 14 July 2010, http://www.washingtonpost.com/wp-dyn/content/article/2010/07/14/AR2010071404860.html, accessed 16 Dec. 2012.

3. من المهم تأكيد أن هذا أشيع، ولكنه لم يتأكد، انظر:

Bruce Golding, John Doyle and Dan Mangan, 'Taliban lackey's twisted mission', New York Post, 5 May 2010, http://www.nypost.com/p/news/ local/taliban_lackey_Su3wybDRpAYfahVx03zskI, accessed 16 Dec. 2012.

4. انظر:

Jesse Lee, 'President on Times Square: "But as Americans, and as a nation, we will not be terrorized," White House Blog, 4 May 2010, http://www.whitehouse.gov/blog/2010/05/04/president-times-square-americansand-a-nation-we-will-not-be-terrorized, accessed 16 Dec. 2012.

5. انظر بشكل خاص:

Jack Goldsmith, *Power and constraint: the accountable presidency after 9/11* (New York: Norton, 2012).

6. دافعت الإدارة عن هذا النهج بأنه "قيادة من الخلف"، وهي عبارة أثارت سخرية الجمهوريين. وكان الدفاع الأصلي قد ورد في:

Ryan Lizza, 'The consequentialist: how the Arab Spring remade Obama's foreign policy', *New Yorker*, 2 May 2011, http://www.newyorker.com/reporting/2011/05/02/110502fa_fact_lizza, accessed 16 Dec. 2012.

7. ورد في البيانات التي جمعتها مؤسسة أمريكا الجديدة، أن إدارة أوباما شنت 284 غارة بالطائرات من دون طيار بين عام 2009 وسبتمبر 2012. وبالمقارنة، فإن إدارة بوش شنت 46 غارة بين عامي 2004 و2008. للاطلاع على البيانات، انظر:

http://counterterrorism.newamerica.net/drones, accessed 16 Sept. 2012.

8. هناك أدلة معتبرة على استخدام الطائرات من دون طيار في هذه الحالات، وشائعات غير مؤكدة بأنها استخدمت في دول أخرى، منها ليبيا ومالي.

9. انظر:

Ari Melber, 'Exposing Obama's not-so-secret war', *Politico,* 12 June 2012.

10. حول قانونية الطائرات من دون طيار، انظر موقف الإدارة الرسمي في:

John O. Brennan, Assistant to the President for Homeland Security and Counterterrorism, 'The efficacy and ethics of US counterterrorism strategy', Woodrow Wilson Center, Washington DC, 30 April 2012. For critiques, see UN Human Rights Council, 'Report of the Special Rapporteur on Extrajudicial, Summary or Arbitrary Executions, Philip Alston', 28 May 2010, http://www2.ohchr.org/english/bodies/hrcouncil/docs/14session/A.HRC.14.24.Add6.pdf, accessed 16 Dec. 2012; Mary Ellen O'Connell, 'Unlawful killing with combat drones: the case of Pakistan 2004–2009', in Simon Bronitt, ed., *Shooting to kill: the law governing lethal force in context*, Legal Studies Research Paper 09-43 (Notre Dame, IN: Notre Dame Law School, July 2010), http://papers. ssrn.com/sol3/papers.cfm?abstract_id=1501144, accessed 16 Dec. 2012. On the moral use of drones, see Bradley Jay Strawser, 'Moral predators: the duty to employ uninhabited aerial vehicles', *Journal of Military Ethics* 9: 4, 2010, pp. 342–68; Robert Sparrow, 'Killer robots', *Journal of Applied Philosophy* 24: 1, 2007, pp. 62–77; Scott Shane, 'The moral case for drones', *New York Times*, 14 July 2012; Caroline Kennedy and Nicholas Rengger, 'The new assassination bureau: on the "robotic turn" in contemporary war', Carnegie Council for Ethics andInternational Affairs, 6 Nov. 2012, http://www.carnegiecouncil.org/publications/ethics_online/0075.html, accessed 16 Dec. 2012.

11. يميز هذا المقال بين البرنامج الذي تديره وكالة الاستخبارات المركزية "غير المتوافر في الكتب" وأهداف الغارات في باكستان واليمن والصومال، والبرنامج الذي تديره وزارة الدفاع الذي ينشط جنباً إلى جنب مع العمليات العسكرية العادية في أفغانستان ويخضع للقواعد الحالية الخاصة بالأهداف والمراقبة التي تستخدمها العمليات العسكرية الأخرى. وهناك رأي بأن برامج البنتاجون للطائرات من دون طيار الناشط في أفغانستان قد لا يكون حكيماً أيضاً من الناحية الاستراتيجية، لكن بغرض الوضوح انصبّ التركيز هنا على البرامج التي تديرها وكالة الاستخبارات المركزية في دول ليست الولايات المتحدة منخرطة فيها في صراع مسلح نشيط.

12. لم يكن هذا دائماً هو موقف الإجماع. في عام 2002 نقل عن مدير وكالة الاستخبارات المركزية جورج تينيت، قوله إنه سيكون "خطأً فادحاً" أن يتم السماح لأحد في مركزه أن يطلق سلاحاً كهذا. ورد هذا في: Jane Mayer, 'The predator war', *New Yorker*, 29 Oct. 2009. وطبقاً لما ورد في تقرير لجنة 9/11، كان تينيت يعتقد أن السي آي إيه لا تملك صلاحية الضغط على الزناد. ورد هذا في:

Tom Junod, 'The lethal presidency of Barack Obama', *Esquire*, Aug. 2012.

13. ورد في:

'US airstrikes called "very effective"', CNN.com, 18 May 2009, http://articles.cnn.com/2009-05-18/politics/cia.pakistan.airstrikes_1_qaeda-pakistani-airstrikes?_s=PM:POLITICS, accessed 16 Dec. 2012.

14. ورد في: CNN.com, 'US airstrikes called "very effective"'.

15. ورد في: 'Mayer, 'The predator war.

16. .Brennan, 'The efficacy and ethics of US counterterrorism strategy'

17. من الممكن تتبع العلاقة المتبادلة بين بداية ضربات الطائرات من دون طيار وتصعيدها، وانخفاض إيقاع الهجمات المعادية، غير أن هذا ليس دليلاً على السببية؛ ذلك أن عدداً كبيراً من العوامل، وليس ضربات الطائرات من دون طيار وحدها، ستحدد إيقاع عمليات الأعداء، علاوة على أن من المستحيل معرفة كيف تم منع العديد من الهجمات بواسطة ضربات الطائرات من دون طيار؛ لأن هذا قياس لحادثة غير معروفة.

18. لقد قدمت بعض التفاصيل عن ضربات الطائرات من دون طيار في أفغانستان، علماً أن عدد ضحايا هذه الضربات لم يصدر بها تقرير علني. وقد انخرطت الولايات المتحدة في الفترة بين 2009 وأكتوبر 2012 في 1160 "عملية إطلاق أسلحة" من طائرات تقصف أهدافها عن بعد. انظر:

Noah Shachtman, 'Military stats reveal epicenter of US drone war', *Wired*, 9 Nov. 2012, http://www.wired.com/dangerroom/2012/11/drones-afghan-air-war/, accessed 16 Dec. 2012.

19. انظر:

New America Foundation, 'The year of the drone', http://counterterrorism.newamerica.net/drones, accessed 16 Dec. 2012.

20. انظر:

TBIJ, 'September 2012 update: US covert actions in Pakistan, Yemen and Somalia', http://www.thebureauinvestigates.com/2012/10/01/september-2012-update-us-covert-actions-in-pakistan-yemen-and-somalia/, accessed 16 Dec. 2012.

21. أحد الجوانب المسببة للتعقيد في ما يتعلق باليمن أن مكتب تحقيقات الصحافة أورد في تقريره أنه حدث ما بين 117 و133 عملية أمريكية إضافية (مثل عمليات القوات الخاصة) التي يمكن أن تزيد العدد الإجمالي للخسائر: 'TBIJ, September 2012 update.

22. هذا التحليل كان متداولاً في 1 أكتوبر 2012. انظر:

New America Foundation, 'The year of the drone'.

23. قدرت مؤسسة أمريكا الجديدة أنه في الفترة بين عامي 2004 و2007 شكل المدنيون نسبة 54-61٪ من جميع الخسائر الناجمة عن ضربات الطائرات من دون طيار. انظر:

New America Foundation, 'The year of the drone'.

24. ورد هذا الاقتباس في:

Brian Bennett and David S. Cloud, 'Obama's counterterrorism advisor defends drone strikes', *Los Angeles Times*, 30 April 2012, http://articles.latimes.com/2012/apr/30/world/la-fg-brennan-drones-20120501, accessed 16 Dec. 2012.

25. تم حساب هذه الأعداد بمقارنة أعداد الخسائر المدنية الإجمالية العالية والمنخفضة بأعداد الخسائر الإجمالية العالية والمنخفضة. 'TBIJ, 'September 2012 update.

26. انظر:

Shane, 'The moral case for drones'; Matthew Fricker, Avery Plaw and Brian Glyn Williams, 'New light on the accuracy of the CIA's predator drone campaign in Pakistan', *Terrorism Monitor* 8: 41, 11 Nov. 2010, pp. 8–13.

27. مما يوضح هذه الصعوبات محاولة حديثة العهد من قبل "العيادة الخاصة بضحايا حقوق الإنسان" في مدرسة الحقوق بكولومبيا لفحص المصادر الأساسية حول ضربات الطائرات من دون طيار، مع الأخذ في الاعتبار ضربات الطائرات من دون طيار في باكستان عام 2011 فحسب. وقد وجدت أن بإمكانها تأكيد أن بين 456 و661 من الأشخاص قد قتلوا، وتم تحديد عدد المقاتلين المتشددين بينهم بما يراوح بين 330–575، و"المدنيين" بما يراوح بين 72–155. وتدل هذه الفروق في الأرقام على مدى الغموض في تقديرات ضحايا ضربات الطائرات من دون طيار. ومن الجدير بالملاحظة أيضاً أن المؤلفين خلصوا إلى أن تقديراتهم كانت أشد انسجاماً مع تقديرات مكتب تحقيقات الصحافة. انظر:

Columbia Law School Human Rights Clinic, 'Counting drone strike deaths', Oct. 2012, http://web.law.columbia.edu/sites/default/files/microsites/human-rights-institute/COLUMBIACountingDronesFinalNotEmbargo.pdf, accessed 16 Dec. 2012.

28. انظر:

Micah Zenko, 'Raising the curtain on US drone strikes', Council on Foreign Relations, Washington DC, 2 June 2010.

29. انظر:

International Human Rights and Conflict Resolution Clinic (Stanford Law School) and Global Justice Clinic (NYU School of Law), *Living under drones: death, injury and trauma to civilians from US drone practices in Pakistan*, Sept. 2012, p. 31.

30. انظر:

Peter Bergen and Katherine Tiedemann, 'Washington's phantom war: the effects of the US drone program in Pakistan', *Foreign Affairs* 90: 4, July–Aug. 2011, pp. 12–18.

31. ورد هذا الاقتباس في:

Fricker et al., 'New light on the accuracy of the CIA's predator drone campaign in Pakistan', p. 60.

وقد لاحظ المؤلفون أن ادعاء بريتان لا يجد سنداً له في أي من قواعد البيانات الرئيسة الخاصة بضربات الطائرات، بما فيها بياناتهم الواردة في بحوثهم عن الطائرات من دون طيار:

UMass DRONE (University of Massachusetts Dartmouth Research on Operational Neutralization Events).

32. ورد في:

Jo Becker and Scott Shane, 'Secret "kill list" proves a test of Obama's principles and will', *New York Times*, 29 May 2012.

33. انظر:

The Stanford Law School and NYU School of Law *Living under drones* report.

يزعم هذا التقرير بأن قاعدة بيانات مكتب تحقيقات الصحافة هي الأشد مصداقية؛ لأنها تقارن بين الأرقام المأخوذة من مصادر متعددة، وتعدل الأعداد الإجمالية للخسائر في الأرواح عندما يحصل تضارب. انظر ص 29-54.

34. Becker and Shane, 'Secret "kill list"'.

35. TBIJ, 'September 2012 update'.

36. تصور إدارة أوباما نفسها بأنها تميز في انتقائها أهداف ضربات الطائرات من دون طيار، وتدعي أنها مضت إلى حد بعيد في السعي إلى تفادي إحداث خسائر في المدنيين، لكنها كانت غامضة حول المعايير التي تستخدمها في انتقاء الأهداف. ولذلك فإن من الصعب، إن لم يكن من المستحيل، تحديد ما إذا كان تحديدها المسبق لشخص على أنه مقاتل أم لا وتقييمها للتناسب في التصريح بالضربات يتفق مع الحدود المستخدمة عادة في نظرية حرب عادلة.

37. انظر:

Scott Shane, 'US said to target rescuers at drone strike sites', *New York Times*, 5 Feb. 2012.

38. انظر:

Scott Shane, 'Report cites high civilian toll in Pakistan drone strikes', *New York Times*, 25 Sept. 2012.

39. Shane, 'US said to target rescuers at drone strike sites'.

40. انظر:

Pir Zubair Shah and Salman Masood, 'US drone said to kill 60 in Pakistan', *New York Times*, 23 June 2009.

41. انظر:

Greg Miller, 'CIA seeks new authority to expand Yemen drone campaign', *Washington Post*, 18 April 2012.

42. انظر المناقشة في: Becker and Shane, 'Secret "kill list"'. ومصدر عبارة "أنماط الحياة" هو:

David S. Cloud, 'CIA drones have broader list of targets', *Los Angeles Times*, 5 May 2010. See also Stanford Law School NYU School of Law, *Living under drones*, p. 12.

43. ورد الاقتباس في: Becker and Shane, 'Secret "kill list"'

44. حول الحملة الانتخابية في الفترة 2007-2008 أكد أوباما، السيناتور في ذلك الوقت، أنه لن يتردد في الضرب داخل باكستان إن تم تحديد مكان شخصيات مهمة، مثل أسامة بن لادن أو أيمن الظواهري

أو أحد كبار قادة القاعدة الآخرين. في ذلك الوقت، لم يجادل بأن تعريف الشخصية المهمة سيتم توسعته ليشمل ناشطين أقل رتبة، أو أشخاصاً هامشيين ليشمل شبكات مقاتلة من أهل البلاد الأصليين.

.45 انظر:

Peter Bergen, 'Drone is Obama's weapon of choice', CNN.com, 19 Sept. 2012, http://europe.cnn.com/2012/09/05/opinion/bergen-obama-drone/index.html?iid=article_sidebar, accessed 16 Dec. 2012.

.46 انظر:

Rosa Brooks, 'Take two drones and call me in the morning', *Foreign Policy*, 12 Sept. 2012.

.47 انظر:

Greg Miller, 'Increased US drone strikes in Pakistan killing few high value militants', *Washington Post*, 21 Feb.2011.

.48 انظر:

Jane Perlez and Pir Zubair Shah, 'Drones batter Al Qaeda and its in Pakistan', *New York Times*, 4 April 2010.

.49 تعد هذه نقطة مهمة؛ لأن جانباً كبيراً من الأدبيات الموجودة حالياً حول عمليات القتل المستهدفة ركزت على هجمات على قادة رفيعي المستوى، وليس على عامة المقاتلين، وحتى هذه الأدبيات دلت على نتائج متنوعة كثيراً لسياسة القتل المستهدف. ويعكس برنامج القتل المستهدف الإسرائيلي في معظمه ما تفعله إدارة أوباما، غير أن برنامج إسرائيل كان أكثر محدودية وركز على شخصيات رفيعة المستوى في منظمات مثل "حماس". وهناك عدد من الأسباب التي تدعونا للشك في أن إسرائيل تعد حالة فريدة من نوعها، وأن الاستنتاجات من برنامجها للقتل المستهدف لا يمكن استنتاجها في مكان آخر. من بين هذه الأسباب حقيقة أن إسرائيل تستخدم الطائرات من دون طيار في الضفة الغربية وغزة، حيث تملك مستويات عليا من السيطرة العسكرية الفعالة وشبكات كثيفة من المخبرين تسمح لها بتحديد أهدافها. حول هذه النقطة انظر المراجعة المفيدة في:

Stephanie Carvin, 'The trouble with targeted killings', *Security Studies* 21: 3, 2012, pp. 529–55. On targeted killing as a policy, see Daniel Byman, 'Do targeted killings work?', *Foreign Affairs* 85: 2, March–April 2006, pp. 95–111; Mohammed M. Hafez and Joseph M. Hatfield, 'Do targeted assassinations work? A multivariate analysis of Israel's controversial tactic during the Al-Aqsa uprising', *Studies in Conflict and Terrorism* 29: 4, 2006, pp. 357–83; Aaron Mannes, 'Testing the snake head strategy: does killing or capturing leaders reduce a terrorist group's activity?', *Journal of International Policy Solutions* 9, Spring 2008, pp. 40–49; Jenna Jordan, 'When heads roll: assessing the effectiveness of leadership decapitation', *Security Studies* 18: 4, Dec. 2009, pp. 719–55; Patrick Johnson, 'Does decapitation work? Assessing the effectiveness of leadership targeting in counterinsurgency campaigns', *International Security* 36: 4, Spring 2012, pp. 47–79.

50. انظر:

David Kilcullen and Andrew McDonald Exum, 'Death from above, outrage down below', *New York Times*, 16 May 2009, http://www.nytimes.com/2009/05/17/opinion/17exum.html?pagewanted=all, accessed 16 Dec. 2012.

51. للاطلاع على وصف لرد فعل المسؤولين الباكستانيين على موت محسود، انظر:

Mayer, 'The predator war'. The quotation is from Miller, 'Increased US drone strikes in Pakistan'.

52. انظر:

Palash R. Ghosh, 'I would order the air force to shoot down US drones: Pakistani opposition leader Imran Khan', *International Business Times*, 5 Oct. 2012.

53. انظر:

Sudarsan Raghavan, 'In Yemen, US air strikes breed anger, and sympathy for al-Qaeda', *Washington Post*, 29 May 2012.

54. .Perlez and Shah, 'Drones batter Al Qaeda and its allies in Pakistan'

55. ورد هذا الاقتباس في:

Brian Glyn Williams, 'The CIA's covert predator drone war in Pakistan 2004–2010: the history of an assassination campaign', *Studies in Conflict and Terrorism* 33: 10, 2010, p. 879.

56. انظر:

Pam Benson, 'Bin Laden documents: fear of drones', CNN.com, 3 May 2012, http://security.blogs.cnn.com/2012/05/03/bin-laden-documents-fear-of-drones/, accessed 16 Dec. 2012.

57. انظر:

Greg Miller, 'US officials believe Al Qaeda on the brink of collapse', *Washington Post*, 21 July 2011.

58. انظر:

Micah Zenko, 'The seven deadly sins of John Brennan', *Foreign Policy*, 18 Sept. 2012.

59. السابقة الواضحة هي "المجاهدون" في أفغانستان الذين تبعثر كثير منهم ليشاركوا في حروب في أماكن مثل الجزائر والبوسنة بعد انتهاء الاحتلال السوفيتي. وفي بعض الحالات، كان وجودهم لا يذكر، لكن في حالات أخرى انضم هؤلاء "المحاربون القدامى" من الأفغان المجاهدين إلى جماعات المتمردين المحليين، وجعلوا الصراع أشد طولاً ودموية مما سيكون لولا مشاركتهم.

60. انظر:

Bruce Riedel, 'Al Qaeda 3.0: terrorism's emergent new power bases', *Daily Beast*, 3 Dec. 2012, http://www.thedailybeast.com/articles/2012/12/03/al-qaeda-3-0-terrorism-s-emergent-new-power-bases.html,accessed 16 Dec. 2012.

61. قال كريستوفر سويفت إن هـذه المخـاوف .Zenko, 'The seven deadly sins of John Brennan' من رد الفعل العكسي تجاه ضربات الطائرات مـن دون طيـار في اليمن مبـالغ فيهـا، وإن كثـيراً مـن عمليات التجنيد في شبكات المقاتلين هو نتيجة الفقر وعدم توافر فرص عمل. انظر:

Christopher Swift, 'The drone blowback fallacy', *Foreign Affairs*, 1 July 2012, http://www.foreignaffairs.com/articles/137760/christopher-swift/the-drone-blowback-fallacy,accessed 20 Dec. 2012.

62. ليست "طالبان باكستان" منظمة واحدة أو متجانسة، بل هـي عنـوان لمجموعـة مـن الجماعـات ذات المصالح والعلاقات المتباينة مع الحكومة الباكستانية. للاطلاع على لمحة مفيدة، انظر:

C. Christine Fair, 'The militant challenge in Pakistan', *Asia Policy* 11, Jan. 2011, pp. 121-32.

63. انظر:

The *Long War Journal* has produced a helpful summary of the targets of drone strikes in Pakistan: see http://www.longwarjournal.org/pakistan-strikes.php, accessed 16 Dec. 2012.

64. ناقشتُ هذه الدينامية سابقاً في:

Michael J. Boyle, 'Do counterterrorism and counterinsurgency go together?', *International Affairs* 86: 2, March 2010, pp. 333–53.

65. انظر:

Mark Mazzetti and Scott Shane, 'Evidence mounts for Taliban role in bomb plot', *New York Times*, 5 May 2010.

66. انظر:

'Pakistani Taliban say they carried out CIA attack', *Associated Press*, 1 Jan. 2010.

67. وردت حجج الحالة "المطلوبة أخلاقياً" في: 'Strawser, 'Moral predators. انظر أيضاً:

Shane, 'The moral case for drones'.

68. ورد الاقتباس في: 'Shane, 'The moral case for drones.

69. أشعر بالامتنان للمراجع المجهول لهذه النقطة.

70. وردت حجة مماثلة حول نسبة الخسائر في أرواح المدنيين الناجمة عن العمليات البرية من قبـل الجـيش الباكستاني والعمليات الأخرى غير تلك المنفذة بواسطة الطائرات من دون طيار مـن قبـل الولايـات المتحدة، وذلك في:

Fricker et al., 'New light on the accuracy of the CIA's predator drone campaign in Pakistan'.

وهذه النسخة من الحجج – التي تقارن العمليات العسكرية الباكستانية (خلافـاً للولايـات المتحـدة الأمريكية) بالضربات بواسطة الطائرات من دون طيار في مناطق يوجد فيها صراع نشـيط – تتجنـب المغالطة المنطقية المحددة في مكان آخر.

71. توجد مقولة، قام سبارو باستقصائها مع غيرها، مفادهــا أن المـرء لا يسـتطيع التعـرف إلى الشـخص المسؤول عن ضربة بطائرة من دون طيار، ومن ثم، فهي تجعل هذه الضربات غير مقبولة وفقاً لقوانين نظرية الحرب العادلة. انظر: 'Sparrow, 'Killer robots.

72. انظر:

Originally reported in Becker and Shane, 'Secret "kill list"'. Cited in Stanford Law School and NYU School of Law, *Living under drones*, p. 135.

73. انظر:

The White House, 'National Strategy for Counterterrorism', Washington DC, June 2011, http://www.whitehouse. gov/sites/default/files/counterterrorism_strategy.pdf, accessed 16 Dec. 2012, pp. 9–10. I have described these elsewhere as 'linchpin states': see Michael J. Boyle, 'The war on terror in American grand strategy', *International Affairs* 84: 2, March 2008, pp. 191–209.

74. The White House, 'National Strategy for Counterterrorism', p. 9.

75. ورد الاقتباس في:

Glyn Williams, 'The CIA's covert predator drone war in Pakistan 2004–2010', p. 881.

76. ورد الاقتباس في:

Chris Woods, 'CIA drone strikes violate Pakistan's sovereignty', *Guardian*, 2 Aug. 2012.

77. انظر:

Pew Research Center, 'Pakistani public opinion ever more critical of the US', 27 June 2012.

يكمن الخطر الحقيقي في حدوث انقلاب، وهو ممكن بـالنظر إلى مـدى قلـة شـعبية حكومـة زرداري (نسبة المؤيدين 14٪) بالمقارنة مع الشعبية النسبية للمؤسسة العسكرية الباكستانية.

78. ورد وصف الاحتفالات بموت محسود في: 'Mayer, 'The predator war.

79. انظر:

Glyn Williams, 'The CIA's covert predator drone war in Pakistan 2004–2010', pp. 882–3.

80. انظر:

Glyn Williams, 'The CIA's covert predator drone war in Pakistan 2004–2010', pp. 882–3.

81. من المهم ملاحظة أنه من الصعب هنا تحديد اتجاه السببية. فضربات الطائرات من دون طيـار تنسـف الاستقرار في باكستان، بينما يمكن أن يكون تناقص الاستقرار حافزاً لمزيد من ضربات الطائرات مـن

دون طيار. والدليل على تزايد عدم الاستقرار واضح، غير أنه يتجلى بشكل خاص في تزايد الهجمات الإرهابية في البلاد، من أقل من 100 عام 2009 إلى أكثر من 700 بحلول عام 2010. للاطلاع على مزيد من التفاصيل، انظر:

The Global Terrorism Database, http://www.start.umd.edu/gtd/, accessed 16 Dec. 2012.

82. Pew Research Center, 'Pakistani public opinion ever more critical of the US'.

83. Pew Research Center, 'Pakistani public opinion ever more critical of the US'.

84. Pew Research Center, 'Pakistani public opinion ever more critical of the US'.

85. انظر:

Salman Masood, 'In Pakistan, drone protest takes detour for safety', *New York Times*, 7 Oct. 2012.

86. انظر:

Sumaira Khan, 'Zardari to US: call off drone campaign', *Express Tribune*, 16 Sept. 2012. Joshua Foust's comments in Jeanne Park, 'Interview: drone politics in Pakistan', Council on Foreign Relations, 12 Oct. 2012, http://www.cfr.org/pakistan/drone-politics-pakistan/p29259, accessed 16 Dec. 2012.

87. في أحد إصدارات ويكيليكس، نقل عن جيلاني قوله عن الطائرات من دون طيار: «لا يهمني ما تفعله ما دامت تضرب الأشخاص المناسبين. سوف نبدي احتجاجنا في الجمعية الوطنية ثم نتجاهله». انظر:

Tim Lister, 'Wikileaks: Pakistan quietly approved drone strikes, US special units', CNN.com, 1 Dec. 2010.

وحول "حجة الاستخدام غير القانوني والنتائج العكسية"، انظر:

'"Drone attacks" adding to insurgency: PM', *The News* (Pakistan), http://www.thenews.com.pk/article-32961-Drone-attacks-adding-to-insurgency:-PM, accessed 16 Dec. 2012.

88. انظر:

Declan Walsh, 'Pakistani parliament demands end to US drone strikes', *New York Times*, 20 March 2012.

89. انظر:

Susan B. Epstein and K. Alan Kronstadt, 'Pakistan: US foreign assistance', Congressional Research Service, 4 Oct. 2012, http://www.fas.org/sgp/crs/row/R41856.pdf, accessed 16 Dec. 2012.

90. Epstein and Kronstadt, 'Pakistan: US foreign assistance', p. 16.

91. انظر:

Glyn Williams, 'The CIA's covert predator drone war in Pakistan 2004–2010', p. 881.

92. ورد هذا الاقتباس في:

Asia Society, 'Watch: Pakistani FM calls drone strikes "illegal", says "this has to be our war"', 27 Sept. 2012, http://asiasociety.org/blog/asia/watch-pakistan-fm-calls-drone-strikes-illegal-says-has-be-our-war, accessed 16 Dec. 2012.

93. انظر:

Hassan Abbas, *Militancy in Pakistan's borderlands: implications for the nation and Afghan policy* (New York: Century Foundation, 2010), http://tcf.org/publications/2010/10/militancy-in-pakistan2019s-borderlands-implicationsfor-the-nation-and-for-afghan-policy/pdf, accessed 16 Dec. 2012.

94. انظر:

Zahid Hussain, 'Pakistan's most dangerous place', *Wilson Quarterly*, Winter 2012, http://www.wilsonquarterly.com/article.cfm?AID=2097, accessed 16 Dec. 2012.

95. أكد برويز هودبوي في مقال يتسم بالتبصر والعمق أن الانتحاريين في هذه الشبكات، الذين تدربوا في المدارس الدينية ومعسكرات التدريب في وزيرستان، هم بمنزلة "الطائرات من دون طيار" التي تستخدمها هذه الجماعات المحلية، في ظل الصمت المعيب الذي يلتزمه عدد كبير من الطبقة السياسية الباكستانية التي تدين السياسة الأمريكية. انظر:

Pervez Hoodboy, 'Drones: theirs and ours', OpenDemocracy, 3 Nov. 2012, http://www.opendemocracy.net/pervez-hoodbhoy/dronestheirs-and-ours, accessed 20 Dec. 2012.

96. انظر:

Stanford Law School and NYU School of Law, *Living under drones*, pp. 133–4.

من المهم التأكيد بأن الزعم هنا ليس بأن الطائرات من دون طيار هي العامل الوحيد وراء التعبئة في شبكات الاستقطاب، بل هو أنها تعد عاملاً مهماً مع تزايد إيقاع الضربات.

97. انظر أيضاً:

Leila Hudson, Colin S. Owens and Matt Flannes, 'Drone warfare: blowback from the American way of war', *Middle East Policy* 18: 3, Fall 2011, p. 126.

98. هذا الرقم مأخوذ من: The South Asia Terrorism Portal's profile of the TTP، انظر:

http://www.satp.org/satporgtp/countries/pakistan/terroristoutfits/ttp.htm, accessed 16 Dec. 2012.

من المهم تأكيد أنه ليست الطائرات من دون طيار هي الدافع لجميع هؤلاء المجندين، بل لنسبة منهم فحسب.

99. انظر:

Jeremy M. Sharp, 'Yemen: background and US relations', Congressional Research Service, 1 Nov. 2012, p. 9, http://www.fas.org/sgp/crs/mideast/RL3410.pdf, accessed 20 Dec. 2012.

.Zenko, 'The seven deadly sins of John Brennan' .100

.Greg Miller, 'CIA seeking more drones', *Washington Post*, 19 Oct. 2012 .101

102. انظر:

Greg Miller, 'US drone targets in Yemen raise questions', *Washington Post*, 2 June 2012.

103. ورد الاقتباس في:

Scott Shane, 'Election spurred move to codify US drone policy', *New York Times*, 24 Nov. 2012.

104. تم الاستشهاد به في:

Peter Bergen and Jennifer Rowland, 'Obama ramps up covert war in Yemen', CNN.com, 12 June 2012.

105. انظر:

Ty McCormick, 'Yemeni president: I love drones', *Foreign Policy*, 28 Sept. 2012, http://blog.foreignpolicy.com/posts/2012/09/28/yemens_president_warns_iran_endorses_us_drone_policy_0, accessed 16 Dec. 2012.

106. انظر:

Leila Hudson, Colin S. Owens and David J. Callen, 'Drone warfare in Yemen: fostering Emirates through counterterrorism', Middle East Policy Council, 2012, http://www.mepc.org/journal/middle-east-policyarchives/drone-warfare-yemen-fostering-emirates-through-counterterrorism, accessed 16 Dec. 2012.

107. هذا الاقتباس مأخوذ من إنصاف علي مايو، رئيس حزب إسلامي رئيس، وقد ورد في:

Sudarasan Raghavan, 'In Yemen, US airstrikes breed anger, and sympathy for al Qaeda', *Washington Post*, 29 May 2012.

108. انظر:

Ibrahim Mothana, 'How drones help al Qaeda', *New York Times*, 13 June 2012.

.Zenko, 'The seven deadly sins of John Brennan' .109

110. كما ورد أعلاه، يقول كريستوفر سويفت Christopher Swift إن العوامل الاقتصادية ملائمة أيضاً لتجنيد المقاتلين، علماً أن الطائرات من دون طيار تعتبر لدى العديد من اليمنيين إهانة للكرامة الوطنية. انظر مقاله: 'The drone blowback fallacy'.

111. انظر:

Raghavan, 'In Yemen, US airstrikes breed anger, and sympathy for al-Qaeda'. Hudson et al., 'Drone warfare in Yemen'.

.Hudson et al., 'Drone warfare in Yemen' .112

113. ورد هذا الاقتباس في: 'Hudson et al., 'Drone warfare in Yemen.

114. انظر:

Glyn Williams, 'The CIA's covert predator drone war in Pakistan 2004–2010', p. 879.

115. انظر:

Stanford Law School and NYU School of Law, *Living under drones*, p. 81.

116. انظر:

David Rohde, 'The Obama doctrine: how the President's secret wars are backfiring', *Foreign Policy* 192, March–April 2012, p. 66.

117. انظر:

Stanford Law School and NYU School of Law, *Living under drones*, pp. 73–99.

118. انظر:

Stanford Law School and NYU School of Law, *Living under drones*, p. 99.

119. انظر:

Stanford Law School and NYU School of Law, *Living under drones*, p. 100.

120. انظر:

Stanford Law School and NYU School of Law, *Living under drones*, p. 141.

121. انظر:

Micah Zenko, '10 things you didn't know about drones', *Foreign Policy* 192, March–April 2012, http://www.foreignpolicy.com/articles/2012/02/27/10_things_you_didnt_know_about_drones, accessed 20 Dec. 2012.

122. 'Zenko, '10 things you didn't know about drones.

123. Stanford Law School and NYU School of Law, *Living under drones*, p. 141. ذكر النظام الإيراني أن رسالة برنامج الطائرات من دون طيار هي "السلام والصداقة"، انظر:

Zenko, '10 things you didn't know about drones'.

124. Stanford Law School and NYU School of Law, *Living under drones*, p. 141.

125. انظر:

Gili Cohen, 'Parts of intercepted drone left behind at crash site', *Haaretz*, 15 Oct. 2012.

126. انظر:

Scott Shane, 'Coming soon: the drones arms race', *New York Times*, 8 Oct. 2011.

127. انظر:

William Wan and Peter Finn, 'Global race to match US drone capabilities', *Washington Post*, 4 July 2011.

128. Wan and Finn, 'Global race to match US drone capabilities'.

129. انظر:

Stanford Law School and NYU School of Law, *Living under drones*, pp. 142–3.

130. انظر:

'Drones finally make it onto the global arms sales market for sale', *Reuters*, 13 July 2012.

131. انظر:

Teal Group Corporation, 'Teal Group predicts that worldwide UAV market will total $89 billion in its 2012 UAV market profile and forecast', 11 April 2012, http://tealgroup.com/index.php/about-teal/teal-group-inthe-media/3/79-teal-group-predicts-worldwide-uav-market-will-total-89-billion-in-its-2012-uav-marketprofile-and-forecast, accessed 16 Dec. 2012.

132. انظر:

Spencer Ackerman, 'Will Israel sell Russia its prized monster drone?', *Wired*, 18 Jan. 2011.

133. Wan and Finn, 'Global race to match US drone capabilities'.

134. انظر:

'China to use drones on islands in dispute with Japan', *Associated Press*, 24 Sept. 2012.

135. حول هذه النقطة، فأنا أستعير هنا كثيراً من طروحات كينيث والتز حول آثار الأسلحة النووية. انظر:

Scott Sagan and Kenneth Waltz, *The spread of nuclear weapons: a debate renewed* (New York: Norton, 2003).

136. انظر بصورة خاصة:

Thomas Schelling, *Arms and influence* (New Haven, CT: Yale University Press, 1966).

137. حول هذه الاستراتيجيات، انظر:

Alexander L. George and William E. Simons, *The limits of coercive diplomacy*, 2nd edn (Boulder, CO: Westview, 1994).

138. انظر:

Sheera Frankel, 'Hezbollah drone may have been sent to monitor Israel's nuclear activity at Dimona', McClatchy, http://www.mcclatchydc.com/2012/10/12/171390/hezbollah-drone-may-have-been.html, accessed 16 Dec. 2012.

139. انظر:

'Iran: Hezbollah drone proves our military capabilities', *Associated Press* and *Haaretz*, 14 Oct. 2012, http://www.haaretz.com/news/diplomacy-defense/iran-hezbollah-drone-proves-our-military-capabilities-1.469916, accessed 16 Dec. 2012.

140. Zenko, '10 things you didn't know about drones'.

141. انظر:

Craig Whitlock, 'Drone crashes mount at civilian airports', *Washington Post*, 30 Nov. 2012.

142. انظر:

Scott Shane and David E. Sanger, 'Drone crash in Iran reveals secret US surveillance effort', *New York Times*, 7 Dec. 2011. see also Ali Akbar Dareini, 'Iran says it can make copy of captured CIA drone', Associated Press, 12 Dec. 2012.

143. من الجدير بالملاحظة أنه من الممكن استخدام القرصنة الإلكترونية على الطائرات من دون طيار، الأمر الذي يمكن أن يؤدي إلى حادث دولي، فقد قام مؤخراً فريق أبحاث من جامعة تكساس في أوستن باختراق طائرة من دون طيار وخطفها وهي في الجو بينما كانت وزارة الأمن الوطني تتحكم فيها. انظر:

Colin Lecher, 'Texas students hijack a US government drone in midair', *Popular Science*, 28 June 2012, http://www.popsci.com/technology/article/2012-06/researchers-hackgovernment-drone-1000-parts, accessed 16 Dec. 2012.

144. انظر:

Nick Fielding, 'US draws up plans for nuclear drones', *Guardian*, 2 April 2012.

145. Brennan, 'The efficacy and ethics of US counterterrorism strategy'.

146. يتم استخدام مصطلح "قتل" عن قصد هنا؛ فأدبيات الطائرات من دون طيار مفعمة بعبارات ملطفة حول قتل الناس (عمليات قتل مستهدفة، اغتيالات، أضرار جانبية) الغرض منها طمس الحقيقة الأساسية؛ وهي أن غارة الطائرة من دون طيار تصرف متعمد يهدف إلى القضاء على حياة إنسان. وكما ذكر جورج أورويل في مقاله «السياسة واللغة الإنجليزية»، فإن مثل هذه اللغة الغامضة الملطفة تستخدم عادة لجعل "القتل" محترماً.

147. يقول السيناتور ساكسبي تشامبليس Saxby Chambliss إن إدارة أوباما تقوم عن عمد بالقتل، وليس بالأسر، تفادياً لصعوبات محاكمة المشتبه في أنهم إرهابيون. انظر:

Stanford Law School and NYU School of Law, *Living under drones*, p. 143.

148. انظر:

Drone Wars UK, 'Gaza under drones', *Global Research*, 29 Nov. 2012, http://www.globalresearch.ca/gazaunder-drones/5313437, accessed 16 Dec. 2012.

أما اقتباس المسؤول الإسرائيلي فهو مأخوذ من:

Arie Egozi, 'Israeli sources hail UAV contribution to Gaza operation', *Flightglobal*, 23 Nov. 2012, http://www.flightglobal.com/news/articles/israeli-sources-hail-uav-contribution-to-gaza-operation-379396/, accessed 16 Dec. 2012.

149. انظر:

Paul Lewis, 'CCTV in the sky: police plan to use military-style spy drones', *Guardian*, 23 Jan. 2010.

أما عبارة "ملقو النفايات" fly-tipping فتشير إلى عمليات تصريف النفايات غير القانونية.

150. انظر:

Jim Gold, 'Poll: Americans OK with some domestic drones—but not to catch speeders', *NBC News*, 13 June 2012, http://usnews.nbcnews.com/_news/2012/06/13/12205763-poll-americans-ok-with-some-domestic-dronesbut-not-to-catch-speeders?lite, accessed 16 Dec. 2012.

151. Gold, 'Poll: Americans OK with some domestic drones'.

152. انظر:

Nick Craven, 'Spy in the sky drones to patrol Britain's shores for terrorists, smugglers, and illegal immigrants', *Daily Mail*, 11 Aug. 2012.

153. انظر:

Lorenzo Franceschi-Bicchierai, 'Report: Russia is stockpiling drones to spy on street protests', CNN.com, 25 June 2012, http://www.cnn.com/2012/07/25/tech/innovation/russia-stockpiling-drones-wired/index.html, accessed 16 Dec. 2012.

154. انظر:

David Cole, 'It's time to stop killing in secret', *New York Review of Books*, 28 Nov. 2012.

155. انظر:

Charlie Savage, 'Secret US memo made a legal case to kill a citizen', *New York Times*, 8 Oct. 2011.

156. للاطلاع على طريقة مثيرة للاهتمام لفعل ذلك، انظر:

Omar S. Bashir, 'Who watches the drones? The case for independent oversight', *Foreign Affairs*, 24 Sept. 2012, http://www.foreignaffairs.com/articles/138141/omar-s-bashir/whowatches-the-drone, accessed 20 Dec. 2012.

157. Shane, 'Election spurred move to codify US drones policy'.

158. دخلت هذه المعاهدة حيز التنفيذ عام 1983، وبلغ عدد الدول الموقعة عليها حتى الآن 114 دولة. للاطلاع على مزيد من المعلومات، انظر الوثائق على الموقع الإلكتروني لمكتب الأمم المتحدة في جنيف:

http://www.unog.ch/80256EE600585943/(httpPages)/4F0DEF093B4860B4C1257180004B1B30?OpenDocument, accessed 20 Dec. 2012.

159. دعا عدد من الخبراء، منهم المقرر الخاص للأمم المتحدة بشأن حقوق الإنسان ومكافحة الإرهاب، بن إمرسون Ben Emmerson، إلى إنشاء مثل هذه الهيئة. انظر:

Owen Bowcott, 'Drone strikes threaten 50 years of international law, says UN rapporteur', *Guardian*, 21 June 2012.

نبذة عن المؤلف

مايكل بويل؛ أستاذ مساعد في حقل العلـوم السياسـية بجامعـة لا سـال الأمريكيـة، وقبلها كان محاضراً في قسم زمالة البحوث والعلاقات الدوليـة بمركـز دراسـة الإرهـاب والعنف السياسي (CSTPV) في جامعة سنت أندروز الأمريكية. وتتركز اهتماماته البحثية على الإرهاب والعنف السـياسي، ولـه أيضاً بحـوث منشـورة حـول موضـوعات أمنيـة والسياسة الأمريكية الخارجية.

قواعد النشر

أولاً: القواعد العامة

1. تقبل للنشر في هذه السلسلة البحوث المترجمة من اللغات الأجنبية المختلفة، وكذلك الدراسات التي يكتبها سياسيون وكتاب عالميون.
2. يُشترط أن يكون البحث المترجم أو الدراسة في موضوع يدخل ضمن اهتمامات المركز.
3. يشترط ألا يكون قد سبقَ نشر الدراسة أو نشر ترجمتها في جهات أخرى.
4. تصبح الدراسات والبحوث المنشورة في هذه السلسلة ملكاً لمركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، ولا يحق للمترجم أو المؤلف إعادة نشرها في مكان آخر.
5. يتولى المركز إجراءات الحصول على موافقة الناشرين الأصليين للبحوث المترجمة.

ثانياً: إجراءات النشر

1. تقدم الدراسة أو الترجمة مطبوعة من نسخة واحدة.
2. ترفق مع الترجمة صورة من المقالة باللغة المترجم عنها، وبيانات عن المصدر الذي أخذت منه.
3. يرسل مع البحث أو الترجمة بيان موجز بالسيرة العلمية للمترجم أو للباحث.
4. تقوم هيئة التحرير بمراجعة البحث أو الترجمة للتأكد من مستواهما، من خلال مراجعين من ذوي الاختصاص.
5. يخطر الباحث أو المترجم بنتيجة المراجعة خلال ثلاثة أشهر من تاريخ تسلم البحث.
6. تتولى هيئة التحرير المراجعة اللغوية وتعديل المصطلحات بما لا يخل بمضمون البحث أو الترجمة.

صدر من سلسلة «دراسات عالمية»

صدر من سلسلة «دراسات عالمية»

20.	اقتصادات الخليج: استراتيجيات النمو في القرن الحادي والعشرين	تحرير: جوليا ديفلين
21.	القيم الإسلامية والقيم الغربية	علي الأمين المزروعي
22.	الشراكة الأوروبية – المتوسطية: إطار برشلونة	آر. كيه. رامازاني
23.	رؤية استراتيجية عامة للأوضاع العالمية (2)	إعداد: إيرل تيلفورد
24.	النظرة الآسيوية نحو دول الخليج العربية	كيه. إس. بلاكريشنان وجوليوس سيزار بارينياس وجاسجيت سنج وفيلوثفار كاناجا راجان
25.	سياسة أوروبا الخارجية غير المشتركة	فيليب جوردون
26.	سياسة الردع والصراعات الإقليمية المطامح والمغالطات والخيارات الثابتة	كولن جراي
27.	الجرأة والحذر في سياسة تركيا الخارجية	مالك مفتي
28.	العولمة الناقصة: التفكك الإقليمي والليبرالية السلطوية في الشرق الأوسط	يزيد صايغ
29.	العلاقات التركية – الإسرائيلية من منظور الجدل حول الهوية التركية	م. هاكان يافوز
30.	الثورة في الشؤون الاستراتيجية	لورنس فريدمان
31.	الهيمنة السريعة: ثورة حقيقية في الشؤون العسكرية التقنيات والأنظمة المستخدمة لتحقيق عنصري الصدمة والترويع	هارلان أولمان وجيمس بي. ويد
32.	التيارات السياسية في إيران 1981 – 1997	سعيد برزين ترجمة: علاء الرضائي
33.	اتفاقيات المياه في أوسلو 2: تفادي كارثة وشيكة	ألوين روير
34.	السياسة الاقتصادية والمؤسسات والنمو الاقتصادي في عصر العولمة	تيرنس كاسي

صدر من سلسلة «دراسات عالمية»

العدد	العنوان	المؤلف
35.	دولة الإمارات العربية المتحدة الوطنية والهوية العربية - الإسلامية	سالي فندلو
36.	استقرار عالم القطب الواحد	وليم وولفورث
37.	النظام العسكري والسياسي في باكستان	إيزابيل كوردونير ترجمة: عبدالله جمعة الحاج
38.	إيران بين الخليج العربي وحوض بحر قزوين الانعكاسات الاستراتيجية والاقتصادية	شيرين هنتر
39.	برنامج التسلح النووي الباكستاني نقاط التحول والخيارات النووية	سمينة أحمد
40.	تدخل حلف شمال الأطلسي في كوسوفا	لويس هنكين وآخرون ترجمة: الطاهر بوساحية
41.	الاحتواء المزدوج وما وراءه: تأملات في الفكر الاستراتيجي الأمريكي	عمرو ثابت
42.	الصراع الوطني الممتد والتغير في الخصوبة: الفلسطينيون والإسرائيليون في القرن العشرين	فيليب فرج
43.	مفاوضات السلام وديناميه الصراع العربي - الإسرائيلي	عمرو جمال الدين ثابت
44.	نفط الخليج العربي: الإنتاج والأسعار حتى عام 2020	ديرموت جيتلي
45.	انهيار العملية السلمية الفلسطينية - الإسرائيلية: أين الخلل؟	جيروم سليتر
46.	ثورة المعلومات والأمن القومي	تحرير: توماس كوبلاند
47.	القانون الدولي والحرب ضد الإرهاب	كريستوفر جرينوود
48.	إيران والعراق	تشاس فريمان (الابن) وآخرون
49.	إصلاح أنظمة حقوق الملكية الفكرية في الدول النامية: الانعكاسات والسياسات	طارق علما ومايا كنعان
50.	الأسطورة الخضراء: النمو الاقتصادي وجودة البيئة	ماريان رادتسكي

صدر من سلسلة «دراسات عالمية»

.51	التصورات العربية لتركيا وانحيازها إلى إسرائيل بين مظالم الأمس ومخاوف اليوم	أوفرا بنجيو وجنسر أوزكان
.52	مستقبل الأيدز: الحصيلة المروعة في روسيا والصين والهند	نيكولاس إيبراشتات
.53	الدور المتغير للمعلومات في الحرب	تحرير: زلمي خليل زاد وجون وايت
.54	مسؤولية الحماية وأزمة العمل الإنساني	جاريث إيفانز ومحمد سحنون وديفيد ريف
.55	الليبرالية وتقويض سيادة الإسلام	عمرو ثابت
.56	الوفاق الهندي - الإسرائيلي	أفرايم إنبار
.57	الفضائيات العربية والسياسة في الشرق الأوسط	محمد زياني
.58	دور تصدير المياه في السياسة الإيرانية الخارجية تجاه مجلس التعاون لدول الخليج العربية	كامران تارمي
.59	أهمية النجاح: الحساسية إزاء الإصابات والحرب في العراق	كريستوفر جيلبي وآخران
.60	الفوز مع الحلفاء: القيمة الاستراتيجية للنموذج الأفغاني	ريتشارد أندريس وآخران
.61	الخروج من العراق: استراتيجيات متنافسة	توماس ماتير
.62	آراء من داخل الشبكة: تأثير المواقع الإلكترونية في الاهتمامات السياسية للشبان	آرثر لوبيا وتاشا فيلبوت
.63	دبلوماسية الصين النفطية في إفريقيا	أيان تايلر
.64	التدخل العسكري والأسلحة النووية: حول المبدأ الأمريكي الجديد بشأن استخدام السلاح النووي	هارالد مولر وشتيفاني زونيوس ترجمة: عدنان عباس علي
.65	العقوبات في السياسة الدولية: نظرة على نتائج الدراسات والأبحاث	بيتر رودولف ترجمة: عدنان عباس علي
.66	اللوبي الإسرائيلي والسياسة الخارجية الأمريكية	جون ميرشايمر وستيفن والت

صدر من سلسلة «دراسات عالمية»

67.	نهوض الهند	جورشاران داس وسي. راجا موهان وأشتون بي كارتر وسوميت جانجولي
68.	التكاليف الاقتصادية لحرب العراق	ليندا بيلمز وجوزيف ستيجليتز ترجمة: عمر عبدالكريم الجميلي
69.	إيران النووية: الانعكاسات وطرائق العمل	إفرايم كام ترجمة: ثروت محمد حسن
70.	حروب الخليج: مراجعات للسياسة الأمريكية تجاه العراق وإيران	جيمس فيرون وراي تقيه
71.	هل يُكرَّر سيناريو مفاعل تموز؟ تقويم القدرات الإسرائيلية على تدمير المنشآت النووية الإيرانية	ويتني راس وأوستن لونج ترجمة: الطاهر بوساحية
72.	رؤيتان للسياسة الخارجية الأمريكية: جمهورية وديمقراطية	رودولف جولياني وجون إدواردز
73.	مقاربات غربية للمسلمين في الغرب وللإسلام السياسي	بول ويلر وروبرت ليكن وستيفن بروك
74.	الدولار واليورو هل يحتم العجز الكبير في ميزان الحساب الجاري الأمريكي ارتفاعاً في قيمة اليورو؟	يوناس دوفين وكارستن باتريك ماير ويوآخيم شايده ترجمة: عدنان عباس علي
75.	القفزة الكبرى إلى الوراء! تكاليف أزمة الصين البيئية	إليزابيث إكونومي
76.	اتفاقيات التجارة الحرة الثنائية في منطقة آسيا - المحيط الهادي: إشكالياتها ونتائجها	هربرت ديتر ترجمة: عدنان عباس علي

صدر من سلسلة «دراسات عالمية»

77.	إعادة التفكير في المصلحة القومية واقعية أمريكية من أجل عالم جديد	كوندوليزا رايس
78.	الصين المتغيرة: احتمالات الديمقراطية في الداخل والدبلوماسية الجديدة تجاه "الدول المارقة"	جون ثورنتون وستيفاني كلين - ألبراندت وأندرو سمول
79.	التوجه الجديد لليبيا	مولفريد بروت - هيجهامر ورونالد بروس سانت جون
80.	أزمة الغذاء العالمية	ألكس إيفانز ويواخيم فون براون وآخرون
81.	عهد أوباما سياسة أمريكية للشرق الأوسط	ريتشارد هاس ومارتن أنديك ووالتر راسل ميد
82.	اللوبي الهندي والاتفاقية النووية الأمريكية - الهندية	جيسون أ. كيرك
83.	وقت الإغلاق: التهديد الإيراني لمضيق هرمز	كيتلين تالماج
84.	دور حكام الولايات في السياسة الخارجية الأمريكية	صامويل لوكاس ماكميلان
85.	الأزمة المالية العالمية	بن ستيل وستيفن دوناواي
86.	شرق إفريقيا: الأمن وإرث الهشاشة	جيلبرت خادياجالا
87.	المتعاقدون في الحروب	مارك كانسيان وستيفن شونر
88.	الثقافة الاستراتيجية الإيرانية والردع النووي	جنيفر كنيبر وأندرو تيريل
89.	أمن الطاقة الأوراسية	جفري مانكوف
90.	أسلحة الدمار الشامل والأسلحة الصغيرة والخفيفة: فرق عمل تعزيز القدرات الأمنية المتعددة الأطراف	معهد السلام الدولي
91.	هل التقسيم حلٌّ للحرب الأهلية؟	نيكولاس سامبانس وجونا شولهوفر-ول
92.	الصراعات في أقاليم الصومال	سولومون ديرسو وبيروك مسفين

صدر من سلسلة «دراسات عالمية»

العنوان	المؤلف
93. الغرب وروسيا في البحر الأبيض المتوسط:	ديريك لوتربيك
نحو تنافس متجدد!	وجورجي إنغلبريخت
94. ما بعد الدولار: إعادة التفكير في النظام النقدي الدولي	باولا سوباتشي
	وجون دريفل
95. حوكمة الإنترنت في عصر انعدام الأمن الإلكتروني	روبرت كنيك
96. بناء المنظومات قبل بناء الدولة:	
الشروط المنظوماتية المسبقة لبناء الدولة	بيتر هالدن
97. توسيع مجلس الأمن	كارا سي. ماكدونالد
ومصالح الولايات المتحدة الأمريكية	وستيوارت إم. باتريك
98. ثورة الغاز الصخري بين الواقع والتضخيم	بول ستيفنز
99. طريقة الصين في الحرب البحرية:	
منطق ماهان وقواعد ماو	جيمس هولمز
100. الحدود المفتوحة: وهمٌ أو سياسة مستقبلية حتمية؟	جون كيسي
101. مصالحنا الاستراتيجية المشتركة	
دور إفريقيا في عالم ما بعد الدول الثماني	توم كارجيل
102. كندا والشرق الأوسط اليوم:	
السياسات الانتخابية والسياسة الخارجية	دونالد باري
103. صعود القومية الدينية: حالة الهند	مارك جورجنسماير وكاتارينا
104. نقطة التحول: الاستراتيجية الوطنية البريطانية	
ودور المملكة المتحدة في العالم مستقبلاً	كينفال وتيد سفينسون
105. مستقبل القوة الأمريكية	برنارد جنكن وجورج غرانت
	جوزيف ناي، هيلاري
	كلينتون، تيم دون
	وكليجدا مولاج

صدر من سلسلة «دراسات عالمية»

العنوان	المؤلف
106. إدارة الوقود النووي المستنفد الاستراتيجيات البديلة وانعكاساتها على السياسات	توم لاتوريت، وتوماس لايت، وديبرا نوبيان، وجيمس بارتيس
107. أثر تدريس المواد العلمية في سوق العمل في دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية	ألكسندر وايزمان
108. لا لعودة أمريكا إلى الوطن وجهة نظر معارضة للانكفاء	ستيفن بروكس، وجي. جون إيكنبيري، وويليام وولفورث
109. هل من الممكن عقد اتفاق نووي مع إيران؟ إطار تحليلي للمفاوضات النووية الإيرانية	جيمس سيبينيوس ومايكل سينج
110. قوات أمن مرنة للمشاركة في التدخلات العسكرية أفغانستان ومأزق سياسة الأمن الألمانية	كورنيليوس فريزيندورف، وكريستوفر داسه وتوماس مولر
111. هل هو أسلوب جديد للانخراط؟ السياسة الفرنسية في إفريقيا من ساركوزي إلى أولاند	بول ميلي وفنسنت داراك
112. التديُّن طريقاً إلى السياسة صعود السلفية السياسية في مصر بعد مبارك	خليل العناني ومازلي مالك
113. النفط العراقي: تحوُّل محتمل في الهيمنة الإقليمية	دانيا ظافر فضل الدين
114. رسم خريطة المجتمع المدني في الشرق الأوسط حالات مصر ولبنان وتركيا	أوزلام ألطان-أولجاي وأحمد إيتش دويغو
115. في البحث عن القوة الناعمة: هل للرأي العام الخارجي أهمية في السياسة الخارجية الأمريكية؟	بنجامين جولدسميث ويوزاكو هوريوشي
116. التنويع الاقتصادي في دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية: الإنجازات والاتجاهات المستقبلية	مارتن هفدت
117. إنهاء الفقر المدقع في البلدان الهشة والمتأثرة بالصراعات دراسة مُقدَّمة إلى اللجنة رفيعة المستوى بشأن جدول أعمال التنمية لما بعد عام 2015	كلير لوكهارت سام فينسنت

صدر من سلسلة «دراسات عالمية»

118. روسيا وتوازن القوى في منطقة شمال شرق آسيا — أرتيوم لوكين

119. تكاليف حرب الطائرات من دون طيار ونتائجها — مايكل بويل

قسيمة اشتراك في سلسلة

«دراسات عالمية»

الاسم : ....

المؤسسة : ....

العنوان : ....

ص. ب : .... المدينة: ....

الرمز البريدي: ....

الدولة : ....

هاتف : .... فاكس: ....

البريد الإلكتروني: ....

بدء الاشتراك: (من العدد: .... إلى العدد: ....)

رسوم الاشتراك*

للأفراد:	220 درهماً	60 دولاراً أمريكياً
للمؤسسات:	440 درهماً	120 دولاراً أمريكياً

- ☐ للاشتراك من داخل الدولة يقبل الدفع النقدي، والشيكات، والحوالات النقدية.
- ☐ للاشتراك من خارج الدولة تقبل فقط الحوالات المصرفية، مع تحمل المشترك تكاليف التحويل.
- ☐ في حالة الحوالة المصرفية، يرجى تحويل قيمة الاشتراك إلى حساب مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية رقم 1950050565- بنك أبوظبي الوطني - فرع الخالدية. ص. ب: 46175 أبوظبي - دولة الإمارات العربية المتحدة الرقم الدولي للحساب البنكي (IBAN): AE660350000001950050565
- ☐ يمكن الاشتراك عبر موقعنا على الإنترنت (www.ecssr.ae) باستعمال بطاقتي الائتمان Visa وMaster Card.

لمزيد من المعلومات حول آلية الاشتراك يرجى الاتصال:

مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية

قسم الإصدارات

ص.ب: 4567 أبوظبي - دولة الإمارات العربية المتحدة

هاتف: 4044445(9712) فاكس: 4044443(9712)

البريد الإلكتروني: books@ecssr.ae

الموقع على الإنترنت: http://www.ecssr.ae

* تشمل رسوم الاشتراك الرسوم البريدية، وتغطي تكلفة اثني عشر عدداً من تاريخ بدء الاشتراك.

مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية

ص.ب: 4567 - أبوظبي - دولة الإمارات العربية المتحدة

هاتف: 4044541 -2- 971 - فاكس: 4044542 -2- 971

E-mail: pubdis@ecssr.ae

Website: http://www.ecssr.ae

ISSN 1682 - 1211

ISBN 978-9948-14-790-9

